أولادنا

آلة الزمن



تأليف : هـ . ج . ويلز

ترجمة : محمد فريد أبو حديد

دار المعارف

آلة الزمن

أولادنا
(٤)

آلة الزمن

تأليف
هـ . ج . ويلز

مترجمة بقلم
محمد فريد أبو حديد

الطبعة الثامنة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يعرف العالم كله أسماء عظماء الرّحالة الذين ساحوا فى الأرض، وكشفوا أركانها البعيدة التى كانت من قبل مجهولة للإنسان المتمدّن. ونحن مدينون لهم أعظم الدَّين؛ لأنهم خاطروا بأنفسهم فى البر والبحر، وتحملوا الآلام، ولم يبالوا ما أصابهم من المتاعب فى سبيل خدمة الإنسانية. ولكن كل هؤلاء الرحالة كانوا يذهبون فوق الأرض من مكان إلى مكان، حتى يصلوا إلى المجاهل البعيدة ليكشفوا الغطاء عنها. فذهبوا إلى قلب افريقيا وإلى القطب الشمالى وإلى القطب الجنوبى وإلى صحراء آسيا، وأضافوا إلى العالم أمريكا ثم استراليا. ولكنا لم نسمع أن أحدًا قام برحلة فى «الزمان» فهذا شىء عجيب لا عهد لنا به.

وقد عرفنا أسماء مئات ممن قاموا برحلات عظيمة من مكان إلى مكان، ولكنا لم نسمع عن أحد قام برحلة من زمان إلى زمان. والناس يسافرون عادة فى السفن إذا أرادوا السير فى البحر، ويركبون الدواب كالجمال إذا أرادوا السير فى البرّ، أو يسيرون على الأقدام، وهم فى وقتنا الحاضر يقدرون على ركوب الطائرات. أما السفر من زمان إلى

زمان آخر فشىء عجيب لا نعرف كيف يمكن أن يقومَ به الإنسان. ولكن المؤلف القصصى الإنجليزى «هـ. جـ. ولز» يصف لنا رحلة عجيبة من هذا الصنف، ويؤكد لنا أن الذى قام بها هو «رحّالة الزمان»، واستعمل فى سفره آلة عجيبة اسمها «آلةُ الزمن». فكان يقطع فيها الزمان جيلاً بعد جيل، فيطلع على الأجيال المستقبلة المجهولة، ويرى ما فيها من أعاجيب، وهو يصف لنا كيف يغيّر مرور الزمان كل ما فى الدنيا من الناس والحيوان والنبات، ويصف لنا كيف تصبح المساكن بعد مضىّ ملايين السنين، وكيف يصير شكل بنى آدم، وكيف تتبدل طباعهم، وكيف تصير مدنيتهم.

وقد ألَّف الكاتب الإنجليزى العظيم هذه القصة عام ١٨٩٥، وكان عند ذلك فى أول حياته، لا تزيد سنه على الثلاثين. وله غير هذه القصة عشرات من القصص والكتب ألفها فى حياة طويلة ملأى بالجد. وقد توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٤٦ عن نحو ثمانين عامًا من الأعوام العريضة الخصبة التى كان يُهدِى فيها إلى الإنسانية فى كل عام هدية عظيمة، أو هدايا متعددة من مؤلفاته.

والمؤلف يحكى لنا فى هذه القصة عن رجل عزم على أن يقوم برحلة لم يسبقه إليها أحد فى بلد من بلاد العالم كله. وهو يسمى ذلك الرجل «رحَّالة الزمان»، كما أشرنا إليه من قبل. فقد أراد أن تكون رحلته إلى العالم البعيد الذى لا نعرف اليوم عنه شيئًا. ذلك العالم الذى سيكون بعد مضى ملايين من السنين.

وأخذ «رحالة الزمان» يعدّ العدة لرحلته. فاخترع آلة عجيبة لا يعرف أحد عنها شيئًا كثيرًا؛ لأن صاحبها لم يذكر من وصفها إلا

القليل الذى لا يدل على شىء. فهو يقول: إنها كانت تحتوى على بعض قطع من العاج وبعض قضبان من النحاس الأصفر أو من النيكل، وإنها كانت تحتوى على مقعد واحد، وإن لها ذراعًا تتحرك فتدير الآلة دورانًا سريعًا يحدث فى الرأس دوارًا شديدًا، وفيها ذراع أخرى تتحرك فتقف الآلة إذا أراد الراكب الوقوف. فإذا أراد الرحالة السفر إلى مجاهل الزمان حرك الذراع الأولى فدارت الآلة وقطعت الأعوام واحدًا بعد واحد، وحملت الرحالة إلى الأجيال المقبلة المخبوءة فى الغيب، فإذا أراد الوقوف ضغط على الذراع الأخرى فوقفت الآلة عند العام الذى يريد الرحالة أن يقف عنده. فلنترك الآن رحالة الزمان يتحدث إلينا.



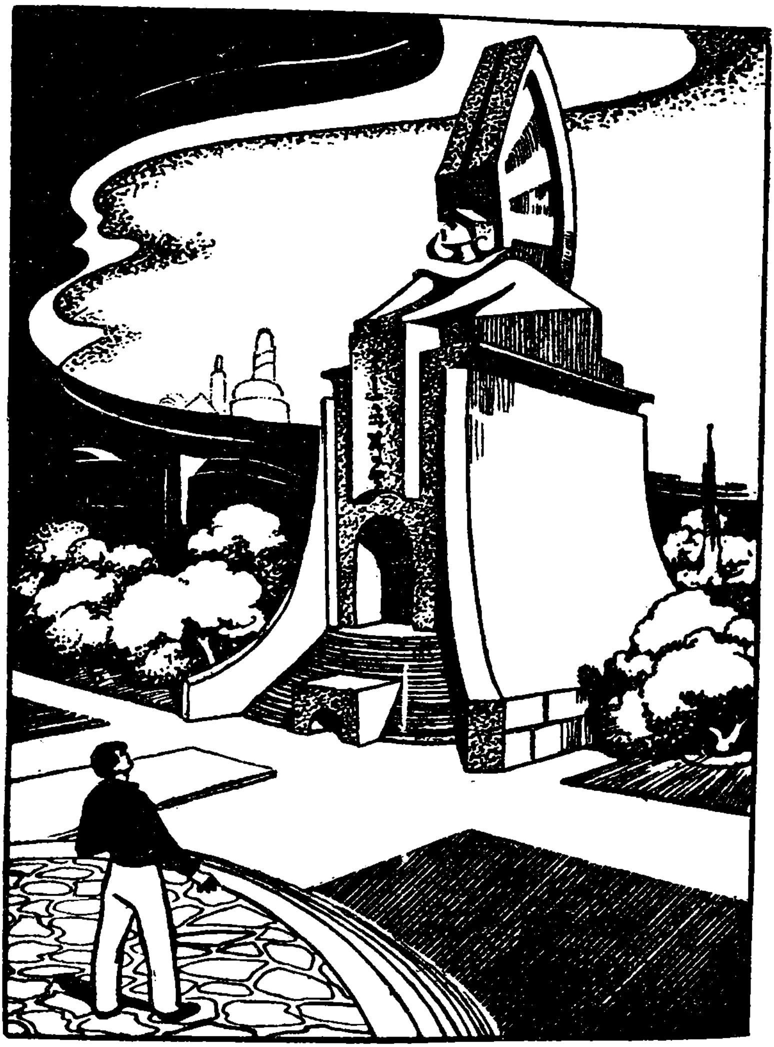
١

ملأت صدرى بنفس عميق، وضغطت على أضراسى، وحركت ذراع الآلة بكلتا يدىّ، فدارت الآلة فجأة، وسمعت صوتاً يشبه صوت الرعد، ثم نظرت حولى إلى المعمل الذى كنت فيه فوجدت أن الظلام يلفّه. ولكنى لم ألبث أن رأيت النهار يطلع بعد لحظة قصيرة، ثم ما كاد النهار يطلع حتى رأيت المساء قد أقبل مرة أخرى، وهكذا أخذ الليل والنهار يتعاقبان بسرعة عظيمة، حتى كنت أرى الشمس تطلع وتقطع السماء ثم تختفى لكى تعود إلى الظهور فى السماء فتقطعها، كأنها قوس متصل من النور. ومرّت الأعوام واحدًا بعد الآخر والآلة تدور حتى أحسست رأسى يختلط ويعتريه الذهول، وكنت فى الوقت نفسه أشعر كأنى أقع فى الفضاء إلى هاوية سحيقة لا قرار لها، وخُيّل إلىّ أننى على وشك أن أصطدم وأتحطم قطعًا متناثرة فى الهواء.

وكان تعاقب النور والظلام أمام عينى مؤلمًا لبصرى، ولكن الآلة أخذت تزداد فى سرعة دورانها، فقصّرت المدة بين النور والظلام إلى أن اتصلا، فصرت لا أرى حولى إلا صفحة واحدة من نور خافت يشبه نور الشفق. وكان لون السماء أزرق (غامقًا) ومنظر الأرض يغطيه ستار يشبه الضباب، ومن خلفه كانت النباتات تنمو تحت بصرى فى لحظات. فبينما هى أعواد صغيرة خضراء، إذا هى أعواد ناضجة، فإذا هى هشيم أصفر ذابل، لأن الأيام كانت تمر بى مسرعة كوميض البرق

بفضل هذه الآلة العجيبة. وكذلك كنت أرى الأشجار تخرج من الأرض، ثم تعلو فى لحظات، ثم تضعف وتموت بعد حين؛ إذ كانت السنوات تمر متعاقبة، والحياة تدور فى دورتها مسرعة. وطويت قرناً بعد قرن من الدهر وأنا ذاهل من الدهشة، ورأيت المبانى تعلو ثم يتقادم عليها العهد ثم تبلى وتتهدّم كأننى فى حلم عجيب. وزادت سرعة الآلة شيئاً فشيئاً حتى صرت أقطع السنة الواحدة فى دقيقة، فكنت أرى ثلوج الشتاء تغطى الأرض، فما هى إلا لحظة حتى أرى الربيع اليانع ثم الصيف ثم الخريف، ويعود الشتاء مرة أخرى بعد دقيقة فيغطى سطح الأرض بثلوجه البيضاء.

ورأيت المبانى على مر القرون تزداد علوًّا وضخامة، والنبات يزداد خضرة وغزارة. فخطر لى أن أقف الآلة لكى أرى أين انتقلت بى، وماذا صار إليه حال الأرض بعد أن قطعت تلك القرون الطويلة، ولكنى خشيت من الصدمة التى قد تحدث لى إذا وقفتها، وحسبت أن وقوفها قد يسبب انفجارًا هائلا يتحلل له كيانى أو تتحطم منه الآلة ذرّة فذرّة، فأذهب أنا وآلتى هباء فى العالم المجهول. ولكنى بعد تردد طويل حركت ذراع الوقوف فإذا بى أجد الآلة تتدحرج، وإذا بى أجد نفسى مقذوفًا فى الهواء، وطنّت أذناى كأننى كنت أسمع هزيم الرعد، وبقيت كالمصعوق حينًا ثم تنبهت. وكانت السماء تمطر بردًا، ووجدت نفسى مطروحًا فوق سطح من العشب الأخضر، والبرَد يهطل فوقى. ونظرت حولى فوجدت الآلة مقلوبة على مقربة منى. ولما عاد إلىّ الوعى وذهب طنين أذنى أمكننى أن أدرك ما يحيط بى. وكنت فى مكان يشبه الحديقة اليانعة غطّت سطحها الخمائل المزدهرة ذات الألوان



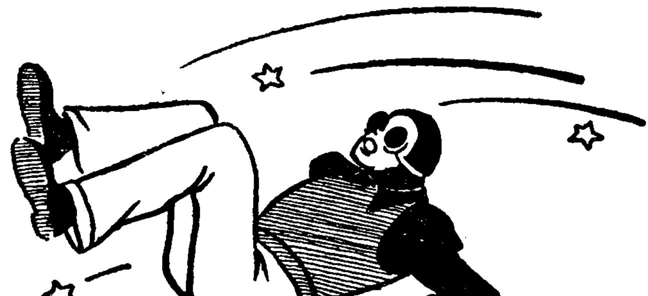
البديعة من حمراء وصفراء وبنفسجية وبيضاء، والأزهار تتساقط تحت وابلٍ البرَد المتدفق من السماء. وما هى إلا لحظة حتى وجدت نفسى غريقًا فى الماء، فقمت أبحث عن موضع أستظل فيه، فلم أجد سوى تمثال عظيم أبيض اللون يلوح عن بعد من وراء خمائل الأزهار، وكان سيل البرَد المتدفق من السماء يحجب صورته عن نظرى.

وهدأ نزول البرد بعد قليل، فأمكننى أن أرى ثورة التمثال الهائل، وكان علوّه شاهقًا حتى إن شجرة بلوط هناك كانت لا تبلغ إلا كتفه. وكان من رخام أبيض ويشبه فى صورته شكل «أبو الهول»، غير أن له جناحين يمدهما كما يمد الطائر جناحيه إذا حلق فى الهواء، وكانت قاعدته من البرنز، وعلى وجهه ابتسامة خافتة. فوقفت أنظر إليه، وكانت عيناه تتجهان نحوى. ولست أدرى ماذا كان طول وقفتى؟ أكانت نصف دقيقة أم كانت نصف ساعة؟ فإنى لم أحس بمرور الوقت وأنا واقف أتأمل صورته العجيبة. ثم أخذت السماء تتكشف ويظهر لونها الأزرق من تحت السحاب فعدت إلى نفسى أسألها عما عسى أن يكون مصيرى فى هذه الرحلة التى أقدمت عليها وعبرت القرون الطويلة فى سبيلها؟ وماذا يكون حالى إذا كان الناس قد تغيروا على مر هذه السنين الطويلة فصاروا قساة القلوب وفقدوا عواطف الرحمة؟ وماذا يكون حالى إذا وجدتهم قد سيطروا على الكون وملكوا كل وسائل القوة والبطش، وخلتْ قلوبهم مع ذلك من صفات الرجولة والإنسانية وأصبحوا لا يألفون ولا يؤلفون؟ ألا أكون فى نظرهم بقية من عالم قديم متوحش تشمئز منه نفوسهم، فلا يترددون فى مطاردتى والقضاء على حياتى؟

وتلفتُّ حولى فرأيت أبنية شتى، عجيبة المنظر، ضخمة الحجم، لها طنوف وأروقة وأعمدة عالية؛ فتملكنى الخوف، وعدت إلى آلة الزمن فحاولت أن أقيمها وأصلح من شأنها حتى أسرع عائدًا فيها إلى زمنى، فانقلبت منى وصدمت ذقنى صدمة عنيفة كادت تحطم عظمى، ولكنى أقمتها بعد جهد، وهممت بركوبها وأنا أنهج من التعب. ولكنى عندما وجدت الآلة فى متناول يدى، وأيقنت أننى أستطيع أن أركب فيها وأعود متى شئت إلى زمنى، عاد إلىّ اطمئنانى، وتبدلت نظرتى إلى الكون الذى حولى. وكانت السماء عند ذلك قد انكشفت، وظهرت الشمس لامعة، ورَقّ الهواء، فصرت أرى الأشياء واضحة أمامى. وحانت منى التفاتة إلى أقرب بناء منى، وكان بناء ضخمًا فخمًا، فرأيت فى أعلاه فتحة مستديرة وفيها أشخاص يلبسون ثيابًا زاهية الألوان وكانت وجوههم مصوّبة نحوى. وبعد قليل سمعت أصواتًا تقترب منى، ثم رأيت من وراء خمائل الزهر رءوسًا تظهر ثم أكتافًا. ثم رأيت الأشخاص تجرى نحوى. واقترب أحدهم منى فإذا به شخص ضئيل الجسم لا تزيد قامته على أربع أقدام يلبس ثيابًا أرجوانية، وحول وسطه حزام من الجلد. وكان فى قدميه نعلان مكشوفتان، من فوقهما ساقان عاريتان إلى الركبتين، فتعجبت من هذا الزىّ وسألت نفسى: أيمكن أن يلبس أهل هذه الأرض ثيابًا خفيفة كهذه ويسيرون عراة السيقان؟ وتأملت حال الجو فوجدت أنه دافئ على غير عهدى بالجو فى بلادى.

وتأملت ملامح الشخص الذى اقترب منى فوجدتها حلوة التقسيم، وتأملت حركته فإذا هى رشيقة، وإن كان بناء جسمه لينًا ضعيفًا. وكان

وجهه جميلا أحمر اللون، ولكنها حمرة تشبه لون المريض الذى تتقد به الحمى من داء دفين. فلما تبينت ذلك الشخص عادت إلىّ الثقة بنفسى، وعرفت أننى آمن على حياتى. فتركت الآلة وعدلت عن فكرة العودة إلى زمنى، وعزمت على أن أبقى فى الزمان الذى نقلتنى الآلة إليه حتى أرى أىّ قوم هؤلاء الذين قدّر لهم الله أن يحلّوا بهذه الأرض بعد مرور تلك القرون الطويلة التى طويتها فى «آلة الزمن».



٢

اقترب ذلك الشخص الصغير منى حتى صار أمامى ضاحكًا مستأنسًا لا يظهر عليه شىء من الخوف. ثم التفت إلى شخصين كانا يسيران وراءه وأخذ يخاطبهما بلغة لم أفهمها، ولكن أنغام الكلام كانت ناعمة لينة. وجاء آخرون بعد هؤلاء وآخرون، حتى اجتمع حولى ثمانية منهم أو عشرة. وتقدم واحد منهم نحوى وأخذ يخاطبنى فلم أجبه بشىء، ولم أحاول أن أنطق بصوتى خوفًا من أن يكون خشنًا يقع فى أسماعهم وقعًا سيئًا. فاكتفيت بأن جعلت أهز رأسى وأشير إلى أذنى، أقصد أن أقول إننى لم أفهم منهم قولا. فتقدم الشخص مترددًا حتى لمس يدى بأصبعه، ثم تجرأ أصحابه فتقدموا نحوى، وجعلوا يلمسون ظهرى وكتفى متعجبين من صلابة ملمسى. ولم يغضبنى ذلك، بل أحسست نحوهم كثيرًا من العطف؛ فقد كانوا فى مظهرهم كالأطفال فى الوداعة والظرف. وتقدم بعضهم نحو آلة الزمن وجعلوا يلمسونها بأيديهم الناعمة الوردية اللون، فأشرت إليهم إشارة تحذير. ثم ذهبت إلى الآلة ونزعت منها ذراعى الحركة والوقوف خوف أن تمتد إليها أيدى بعضهم فيفسدوها. ثم وضعت الذراعين فى جيبى، وعدت إليهم لعلنى أقدر على التفاهم معهم. وتأملت هيئتهم، وكان شعرهم المجعد يمتد إلى أصداغهم وأعناقهم ولكنى لم أر أثرًا من الشعر على وجوه بعضهم. وكانت آذانهم وأفواههم صغيرة، وشفاههم الحمراء رقيقة، وذقونهم مدببة دقيقة. وأما عيونهم فكانت واسعة وديعة، وإن خيل إلى

أنها كانت خالية من شعاع الذكاء والهمة.

وطال وقوفهم أمامى يبتسمون ويتخاطبون فيما بينهم بأصواتهم التى تشبه مناغاة الطيور، ولكنهم لم يحاولوا أن يفتحوا الحديث معى. فأردت أن أبدأ أنا بالحديث، وأشرت إلى آلة الزمن وإلى نفسى، ثم أشرت إلى الشمس وكنت أقصد بذلك أن أحدثهم عن الوقت، فتقدم أحدهم نحوى وصاح مقلدًا صوت الرعد. فأدهشنى ذلك، وفهمت من إشارته أنه يسألنى هل جئت إليهم مع العاصفة التى هبَّت منذ حين، وهل أتى بى الرعد فحملنى إلى أرضهم؟ وذهب ظنى إلى أن هؤلاء القوم فيهم شىء من البلاهة.

وجعلت أسأل نفسى: أيكون القضاء قد حكم على الإنسانية أن يصير أمرها آخر الأمر إلى مثل هذا النقص فى العقل؟ وتذكرت أن آلة الزمن قد قطعت بى فى رحلتها عبر القرون أكثر من ثمانمائة ألف سنة، وكنت أحسب أن أهل هذه البلاد سيصيرون بعد مضىّ مثل هذا الدهر الطويل أكثر منا علمًا وفنًا وعقلًا، فإذا بى أراهم فى مثل هذا الضعف وهذه البلاهة. واعترانى عند ذلك شعور شديد من خيبة الأمل، فإنى قد أتعبت نفسى فى اختراع آلة الزمن، وضيعت فيها شطرًا من عمرى، وخاطرت بحياتى فى هذه الرحلة، ثم لا أجد بعد ذلك كله سوى هؤلاء الضعفاء الذين لا يكادون يفهمون شيئًا.

ولكن مهما يكن من أمرى وشعورى وخيبتى فقد وقفت معهم، وجعلت أشير إلى الشمس، ثم قلدت صوت الرعد بصوتى، فإذا بهم يبعدون عنى فزعًا، ثم رأيتهم ينحنون إلى الأرض فى خشوع، وتقدم أحدهم نحوى باسمًا يحمل عقدًا من الأزهار البديعة التى لم تقع عينى

على مثلها من قبل، ووضعها حول عنقى. فهتف الآخرون استحسانا، وتفرقوا يجمعون الأزهار ويأتون بها إلىّ فيلقونها علىّ حتى كدت أردم تحتها. ثم أخذوا بيدى وساروا بى نحو القصر العظيم المبنىّ بالحجارة، وكان مزخرفًا بنحت جميل من صور وتماثيل؛ ومررنا فى سيرنا بتمثال «أبو الهول» الرخامىّ الأبيض. وكانت الابتسامة التى على وجهه تصوّر لى كأنه يضحك منى ويسخر مما عرانى من الدهشة. فهل هذه هى الإنسانية التى كنت أحسب أن المستقبل سوف ينتقل بها إلى أعلى درجات الكمال والحكمة؟ ووصلنا إلى باب عظيم يؤدى إلى فناء القصر، فرأيت هناك جماعة من أمثال الأشخاص الصغيرة التى جئت معها. وتلفت ورائى قبل أن أدخل فرأيت منظر الأرض كأنه منظر حديقة واسعة مهملة قد تركت بورًا فنما نباتها على طبيعته. كانت الشجيرات المزدهرة منثورة فوقها ذات ألوان مختلفة، وتتخللها أعواد طويلة ذات أزهار بيضاء كبيرة يبلغ طول الورقة من تاجها نحو قدم كاملة، وهى عجيبة فى شكلها يحسبها الناظر إليها قطعًا منحوتة من الشمع.

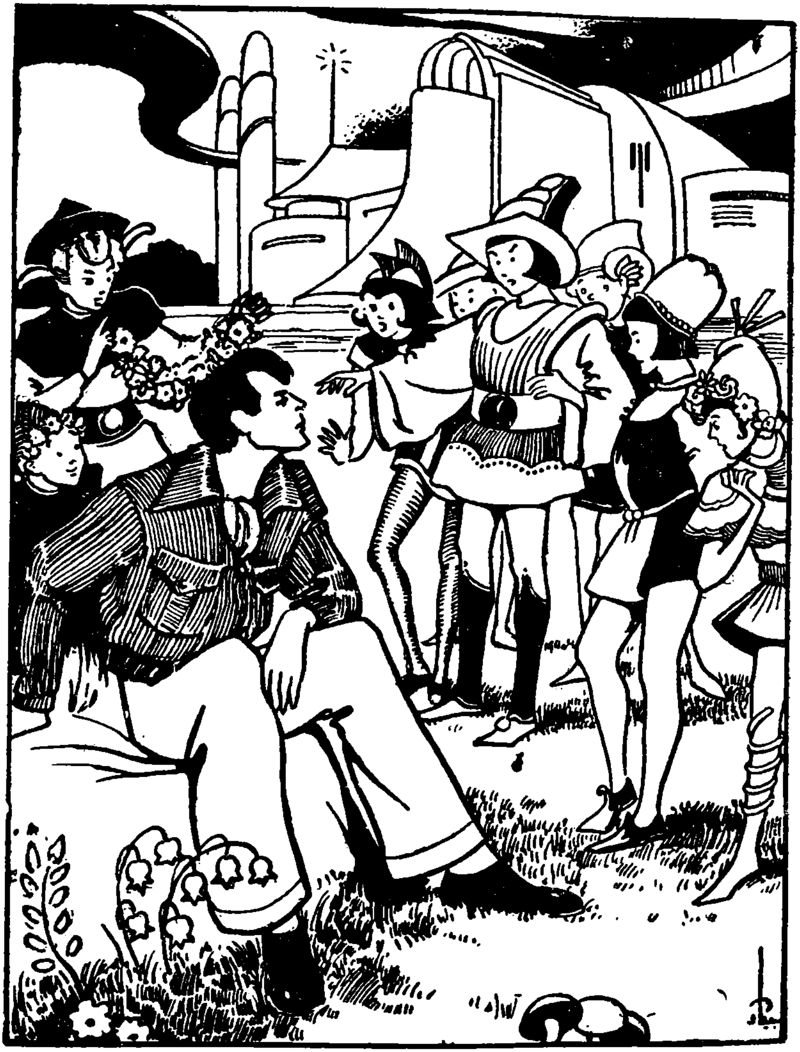
وكان أعلى الباب مزخرفًا برسوم غريبة خيل إلىّ أنها تشبه النقوش الفينيقية القديمة، وكان يبدو عليها القدم والبلى لطول ما مر عليها من القرون.

وسرت بين هؤلاء القوم بملابسى الصوفية الخشنة، تحيط بى دائرة زاهية الألوان من الملابس والأزهار، فكان الفرق بينى وبين من حولى عظيمًا. وكان القوم يتناغون بأصوات ناعمة لها أنغام عذبة، ولهم جميعًا ملامح رائعة الحسن رقيقة.

وسرنا فى بهو كبير به نوافذ بعضها له زجاج ملوّن وبعضها خال من الزجاج. وكانت الأرض من كتل معدنية صلبة بيضاء، ولكنها كانت مبرية من طول ما سارت الأقدام عليها. فلم أشكّ فى أن ذلك البناء قد مضى عليه من الدهر أجيال بعد أجيال. وكانت على الطريق موائد تمتد فى عرض البهو، وهى من الحجر الصقيل، وتعلو عن الأرض بنحو قدم، وعليها أنواع غريبة من فواكه مختلفة لم أميز منها سوى أصناف ضخمة من الشليك والبرتقال.

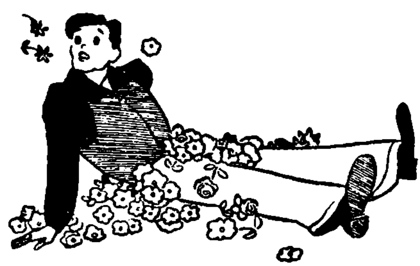
وكانت بين الموائد مقاعد من حشايا؛ فجلس عليها الجماعة وأشاروا إلىّ أن أفعل مثلهم، ثم أخذوا يأكلون فى غير كلفة، وجعلوا يرمون بالقشور فى فتحات مستديرة فى جوانب الموائد. فجلست معهم وجعلت آكل كما يأكلون، وكنت فى الحق قد أخذ الجوع والعطش منى. فلما اكتفيت أخذت أتأمل ما حولى فى البهو فوجدت كل مظهره ينم عن قدم العهد والإهمال، وإن كان البناء نفسه عظيمًا باهرًا. وقد بدا لى مما رأيت أن أهل تلك العصور المستقبلة لا يأكلون إلا الخضر والفواكه، فلم يكن لى بد من أن أعيش كما يعيشون، مع أنى شديد الميل إلى أكل اللحوم. وقد لاحظت فى مدة إقامتى هناك أن الدواجن من الغنم والبقر والخيول والكلاب قد انقرضت كلها ولحقت بالحيوان القديم الذى اختفى عن وجه الأرض.

وفكرت فى أن أعيد الكرّة فأحاول مخاطبة من حولى، واخترت أسماء الفواكه لأجعلها مدخلًا إلى لغتهم فأخذت حبة من الفواكه فى يدى وسألت بالإشارة عن اسمها، وكنت أجتهد أن أجعل نغمة صوتى تنمّ عن السؤال، فلم أنجح فى مبدأ الأمر لأنهم أظهروا الدهشة من



حركتى ومن صوتى، ولم يجيبوا بغير الضحك. ثم أدرك أحدهم قصدى بعد حين فنطق بلفظ، وأخذ بعضهم يُفهم بعضًا ما كنت أريد. فأعدت اللفظ الذى سمعته، وكان ذلك من أصعب الأمور علىّ؛ فإنى كلما نطقت به علا ضحكهم كأننى لا أقصد سوى المفاكهة والمداعبة. وقضيت فى ذلك مدة وأنا مثل المعلم فى وسط جمع من الأطفال، حتى تعلمت منهم عدة أسماء. ثم بدأت أتعلم منهم ألفاظ الإشارة: هذا وذلك؛ ثم عرفت معنى «يأكل». ولكن ذلك استغرق منى زمنًا طويلا، وشعرت منهم بالملل، ورأيتهم يبعدُون عنى، فأدركت أننى قد أثقلت عليهم، وعزمت على أن أقنع منهم بالقليل فى كل جلسة.

وكنت كلما زدت إقامة معهم زادت معرفتى بطباعهم، فإنى لم أرَ فى حياتى قومًا أكثر منهم خمولاً ولا أسرع منهم إلى الملل.



٣

هكذا استمر حالى مع هؤلاء الخلق. فكانوا كلما رأونى أقبلوا علىّ صائحين مرحبين فى دهشة كأنهم أطفال صغار ثم لا يلبثون إلا قليلا حتى ينفضوا من حولى، كما يترك الأطفال لعبتهم بعد أن يُشبِعوا هواهم منها لينصرفوا إلى لعبة أخرى.

وخرجت مرة أسير وحدى فى الفضاء الفسيح الذى تغمره أشعة الشمس فلقيت فى طريقى جماعات من هؤلاء الناس، فلما رأونى أقبلوا علىّ حينًا قصيرًا ثم انصرفوا عنى ضاحكين. وكانت الشمس تميل نحو الغروب والهواء يهبّ دافئا، وبدا لى منظر الأرض على غير ما أعهد فى بلادى. لقد تغير كل شيء وتبدل حتى الشجر والزهر. وكان البناء الضخم الذى خرجت منه قائمًا على ربوة مطلة على نهر واسع. وذلك النهر بغير شك هو نهر «التيمز» ولكنه كان قد غير مجراه فى مدة الأجيال الطويلة وبعد عن موضعه الذى أعرفه نحو ميل ونصف. فاتجهت إلى قمة الربوة المشرفة لأرى ما طرأ من التغير والتبدل فى مدة السنوات الطويلة التى تفصل بين هذا العصر الذى نعيش فيه وبين ذلك المستقبل الذى حملتنى إليه آلة الزمن - وقد سبق لى أن ذكرت أنها حملتنى إلى ما بعد عام ثمانمائة ألف بعد الميلاد، فلاحظت أن صخور الربوة قد تحطمت وتفتّت ونبتت فى شقوقها شجيرات ملتفة الأغصان يغذيها فُتات الصخر المتحطّم. وكانت أوراق تلك الشجيرات خضراء تشوب خضرتها حمرة خفيفة تشبه لون البنّ. وتلفتّ حولى

فلم أر أثرًا لبيوت مفردة صغيرة، وما كان أشد عجبى من ذلك فإنى أعرف أهل بلادى ومحبتهم للبيوت الصغيرة المستقلة التى تقيم فى كل بيت منها أسرة سعيدة يجتمع أفرادها حول موقد النار فى أماسى الأيام ليسمروا ويأنس بعضهم ببعض. ولم أر فى الأرض بناء غير تلك العمارات الضخمة التى تشبه المبنى الذى دخلت فيه. فقلت فى نفسى: «سبحان الله!» لقد تبدلت الحال وحل فى هذه الأرض قوم غيروا كل شىء وبدّلوا كل عرف وقلبوا سنن الحياة. بل لقد تغير الناس أنفسهم على مرّ الأجيال فأصبحوا هؤلاء الأقزام الذين رأيتهم صغار الأجسام رقاق العظام ناعمى الخدود والأصوات لا تحمل وجوههم شعرًا ولا تفرّق العين فيهم بين الذكر والأنثى. وخطر لى خاطر فى تعليل هذا التغير الذى طرأ على الناس، فإنى قد لاحظت أنهم يعيشون فى دعة وأمن لا يعملون عملًا شاقًا ولا تكلفهم الحياة جهدًا. ألا يكون هذا هو الذى جعل الرجال كالنساء ناعمين وادعين؟ أليست الحياة جهدًا؟ أليست قوة الرجال وخشونتهم نتيجة المشقة التى يعانونها فى الحياة؟ أليست ضرورات الحياة هى التى تجعل الناس يعيشون فى أسر وينقسمون إلى شعوب وقبائل؟ أليس القتال والجهاد هما اللذين جعلا فى الرجال صلابة البنية؟ فلما زال الخطر وعمّ الأمن ولم يكن بالناس حاجة إلى الدفاع والتصادم قلّت حاجتهم إلى الاجتماع فى الأسر أو القبائل أو الشعوب، ولم يكن بالناس اضطرار إلى التمييز بين رجال مناضلين ونساء وادعات يقمن فى المنازل لحراسة الأبناء والعناية بشئون الأسرة.

هذا ما خطر لى فى تلك الساعة وأنا أجول فوق الربوة أتلفت فى الفضاء الذى يمتد تحت عينىّ.



واسترعى نظرى بناء أبيض صغير يشبه قبة قائمة فوق بئر. ومازلت أصعد فوق الربوة حتى بلغت قمتها، فوجدت هناك مقعدًا من معدن أصفر تقادم عليه العهد حتى تآكل وصدئ وعلاه غطاء من الطحلب. وكانت مسانده على هيئة رأس العنقاء - ذلك الحيوان الخرافى الذى يجمع بين صورة الأسد وصورة النسر - فجلست فوقه أتمتع بمنظر الشمس الغاربة والشفق البارع، وكانت صفحة النهر تمتد تحتى كأنها شريط من الصلب اللامع. وكانت الأرض من حوله براحًا خاليًا كأنه برية لا تميز فيه العين حقولاً ولا حدائق، وكانت الشجيرات منثورة فيه يتخللها بعض أبنية ضخمة على مسافات بعيدة. وفيما يليها عدة قباب بيضاء مثل الأولى التى وصفتها، وبعض أعمدة تشبه المسلات. كان كل شىء تحت بصرى يخيل إلىّ أن الإنسانية قد انحدرت وأنها تقترب من نهايتها.

لقد نهضت الإنسانية وتفنّنت فى العلوم والصناعات لأنها احتاجت إلى ذلك فى كفاحها وجهادها؛ لأن تصادم الشعوب هو الذى يدفع إلى بذل الجهد فى سبيل القوة والسيادة. فإذا ما عمَّ الأمن ربوع العالم لم يبق للإنسانية من حافز إلى الابتكار والتفنن. فمازالت الأمم تجاهد وتكشف من أسرار الطبيعة واحدًا بعد واحد حتى أخضعت قوى الكون وسخرتها لتقوى بها على جهادها. فلما صار الإنسان سيد الكون وخلد إلى الدَّعة والأمن آل أمره إلى ذلك الانحدار الذى شهدت آثاره.

وليس هذا بالعجيب؛ فإن الإنسان - كما يخيل إلىّ - قد فرغ من جهاد كل أعدائه: ففى الزراعة قضى على كل الحشائش التى

لا تفيده، واختار الأنواع التى تعود عليه بأكثر الخير، وكذلك فى الصناعة وفى تربية الحيوان وفى مكافحة الحشرات والأمراض. فلما أصبح سيد الكون حقًا وأحس الأمن من كل خوف لم تبق له حاجة إلى كفاح. وصار كل الناس أذكياء، وكلهم مثقف، وتعاونوا على نشر لواء السلام فى أطراف الأرض. فلما بلغوا إلى القمة طرأ عليهم الانحلال بعد أن لم تبق لهم حاجة إلى معاناة المشقة فى الحياة، وقل النسل عند ذلك. وأصبح كل جيل أنعم من الجيل الذى سبقه وألين عودًا وأطرى بناء وأبعد عن الجهاد. وهكذا فقدت الإنسانية ما يدفعها وما يدعوها إلى شحذ ذكائها وهمتها. وما الذى يزيد الإنسان نشاطًا وقوة؟ أليس هو طلب السعادة أو الدفاع عن الحرية؟ إن هذا النضال بين الأمم ينتهى إلى سيادة البعض وانزواء البعض الآخر. وهذا هو الذى يدعو الأمم إلى التبارى فى القوة والذكاء والتفنن. هو الذى يقوى الهمم ويحمل الناس على الصبر والمثابرة والجلد والإقدام. وما الحب والعطف، وما الشهامة والتضحية والبسالة إلا نتائج لحرص الناس على الدفاع عن الأسرة وحماية الأبناء الصغار. فإذا زالت الأخطار وانحلت روابط الأسرة لم يبق من داع إلى شهامة وإلى تضحية، ولم يكن فى القلوب محل لحب ولا لكراهية. هذا ما خطر لى وأنا أتأمل أحوال الأرض التى تحت بصرى. هؤلاء هم ناس المستقبل لا يعرفون من الحياة إلا الكسل والضحك، يتزينون بالأزهار ويرقصون ويغنون فى ضوء الشمس. إن الألم هو الذى يُشعر الناس الجد، وهؤلاء لا يعرفون معنى الألم فى الحياة فما حاجتهم إلى الجد أو إلى بذل الجهد؟

٤

كان القمر يغمر الفضاء بنوره الفضىّ، وأخذ الهواء يبرد ولم يبق أحد من الناس فوق براح الأرض. فعزمت على العودة لأبحث عن مكانٍ أقضى الليل فيه. ودُرْتُ بعينى لأرى البناء الذى دخلته من قبل، فوقع بصرى على تمثال «أبو الهول» الأبيض فوق قاعدته البرنزية يلمع تحت ضوء القمر. وكانت الأرض تمتد من حوله خالية إلا من الشجيرات المزدهرة الملتفة الأغصان. وما كان أشد دهشتى عندما نظرت إلى الفضاء الذى تحتى باحثًا عن الآلة التى جئت فيها إلى ذلك العصر البعيد فلم أجد لها أثرًا، فقد اختفت كأن الأرض قد ابتلعتها. وهجمت المخاوف علىّ حتى أحسست كأنها تأخذ بخنقى وتكاد تكتم أنفاسى. فماذا أصنع فى هذا العصر السحيق الذى سافرت إليه فى تلك الآلة؟ وماذا أصنع إذا فقدتها ولم أستطع العودة فيها إلى زمنى؟ فأسرعت هابطًا عن الربوة أقفز بخطوات واسعة، وتعثّرت مرارًا وسقطت على الأرض، وتخدشت يداى وركبتاى وسال الدم من وجهى. ولكنى لم أبال شيئًا من هذا فقد كان فكرى كله منصرفًا إلى الخسارة الكبرى التى حاقت بى. وجعلت أقول لنفسى: «ماذا أصنع؟ وأين أبحث عن الآلة؟ ومن ذا الذى أخذها؟ ألا يكون هؤلاء الأقزام قد أخفوْها تحت بعض هذه الشجيرات الملتفة الأغصان؟».

ولما بلغت الموضع الذى كانت فيه الآلة لم أجد شيئًا. وجعلت



أصيح غاضبًا لاعنًا، وأخذت ألوم نفسى على قلة احتراسى، وكنت لا أسمع إلا صدى صوتى، فكدت أخرّ على الأرض من التعب والألم. ولكني تجلدت وأخذت أدور حول المكان وأنحنى تحت الشجيرات باحثًا عن الآلة فذهب بحثى كله عبثًا.

وحانت منى التفاتة إلى التمثال فوجدته كأنه ينظر نحوى وعلى وجهه ابتسامة تشبه أن تكون سخرية من يأسى. فقلت فى نفسى لعل الناس قد ذهبوا بالآلة إلى موضع ظليل مساعدة لى. ولكنى وجدت بعد قليل أن هذا مستحيل لأن هؤلاء أقزام ضعفاء لا يقدرون على أن يحملوا آلة مثلها. وبلغ الغيظ منى مبلغًا عظيمًا، فأخذت أدسّ يدى بين أغصان الشجيرات باحثًا، وأضربها بقبضتى فى عنف، ولكنى لم أجد شيئًا، ويئست من العثور عليها فعدت إلى المبنى الذى كنت فيه من قبل ودموع الغيظ تملأ عينى.

وكان البهو مظلمًا ساكنًا ليس فيه أحد فتعثرت فى سيرى بإحدى الموائد الحجرية، وصدمت ذقنى صدمة شديدة، فأوقدت عودًا من الكبريت وعبرت البهو حتى دخلت فى بهو آخر بعده، فرأيت فراشًا وعليه بعض القوم نيامًا. فصحت قائلاً: «أين الآلة التى جئت فيها؟». وجعلت أهزّهم وأدفعهم بيدى. فلما تيقظوا نظروا إلىّ فى دهشة ثم ضحكوا، ولم يظهر عليهم شىء من الخوف أو الغضب. فلما لم أجد فائدة فى سؤالهم عدت راجعًا إلى البهو الأول أتخبط فى الظلام، ثم خرجت إلى الفضاء اللامع بضوء القمر، وانطلقت منى صيحات الغضب واللعن، وسرت أبحث مرة أخرى بين الشجيرات الجافة حتى خارت قواى. وخيل إلىّ أننى كنت أرى أشباحًا كأنها صنوف غريبة

من الحيوان، ولكنى لم أهتم بشىء لما كنت فيه من التعب، فارتميت على الأرض خائر القوى. وما هو إلا قليل حتى غلبنى النعاس، فلم أصح إلا والشمس تملأ الفضاء بأشعتها. وسألت نفسى أين أنا؟ وما ذلك الذى حولى؟ وماذا جاء بى إلى هنا؟ ثم عاد إلىّ الوعى فتذكرت ما حدث فى الليلة الماضية. وأعاد ضوء النهار شيئًا من الثقة إلى نفسى، وذهبت مخاوفى وقمت ممتلئًا نشاطًا، وعزمت على أن أقابل الأمور بهدوء وحزم. وكان أول ما رأيت عمله هو أن أعرف أين اختفت الآلة. فإذا لم أتمكن من استرجاعها فكرت فى الاستعداد لصناعة آلة أخرى غيرها.

وأتى إلىّ جماعة من الأقزام فحاولت أن أسألهم بالإشارة لعلهم يردّون بجواب يساعدنى على معرفة موضع الآلة فلم يجب أحدهم بشىء. واشتد بى الغيظ حتى وجدت مشقة فى أن أمنع نفسى من أن أمدّ إليهم يدى بالأذى، وانصرفت عنهم يائسًا منهم، وسرت أنظر حولى باحثًا عن أثر يدلنى، فرأيت خطًّا على الأرض يشبه أن يكون أثر شىء ثقيل مجرور، ورأيت آثار أقدامى فى الموضع الذى نزلت فيه من الآلة بالأمس، فسرت أتبع ذلك الأثر فوجدته ينتهى إلى قاعدة التمثال. ورأيت هناك آثار أقدام صغيرة تشبه مخالب بعض الحيوان. فذهبت إلى التمثال وأخذت أطرق قاعدته بأصبعى فوجدتها ترنّ، ورأيت وسط وجهها غائرًا كأنه باب مغلق، ولكنى لم أر فيه موضعًا ولا مفصلة ولا مقبضًا. فقلت لعلّ هذا الباب يفتح من داخل القاعدة، وأيقنت أن الآلة كانت مخبوءة هناك. ولكنى لم أعرف كيف أمكن إدخالها، وحرت حيرة شديدة فى حلّ ذلك اللغز الغامض. وظهر لى

عند ذلك شخصان من الأقزام، فنظرت إليهما باسمًا، وعزمت على أن ألاطفهما فى الحديث لعلى أصل بالحيلة إلى معرفة السر الذى خفى علىّ. فلما صارا إلى جانبى أشرت إليهما أننى أريد أن أفتح قاعدة التمثال، وما كان أشد عجبى عندما رأيتهما يبعدان عنى، وقد ارتسم على وجهيهما معنى الاشمئزاز، كأننى قد أهنتهما إهانة شديدة.

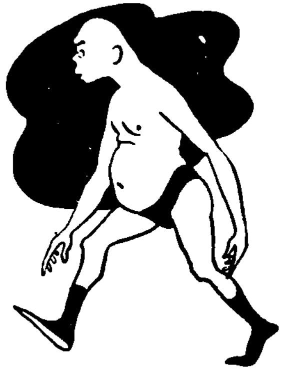
ثم جاء نحوى فتى صغير فأشرت إليه الإشارة عينها فرأيته يبعد عنى كارهًا كما فعل الآخران، فحمى غضبى وأسرعت وراءه وقبضت عليه من قبّة ثوبه وجررته إلى قاعدة التمثال. فلما نظرت إلى وجهه وجدت عليه أشد علامات الخوف والكراهية فتركته يائسًا منه.

وأخذت أضرب قاعدة التمثال بقبضة يدى، ثم أخذت قطعة حجر من جانب النهر وبدأت أقرع بها وجه القاعدة، ولكن ذلك لم يفد شيئًا. فسرت حانقًا أفكر فى حالى، وجعلت أراجع نفسى حتى هدأت وقلت: «الأولى بى أن أفهم أحوال هؤلاء الناس وألاحظ طريقة تفكيرهم، ولابد أن هذا سوف يهدينى إلى السر الذى كنت أبحث عنه»؛ وبدأت أنظر إلى موقفى نظرة هادئة، بل لقد ضحكت من نفسى لأننى أنا الذى سبّبت كل هذا باجتهادى وسعيى؛ فإنى أنا الذى قضيت مدة طويلة من عمرى فى البحث، واجتهدت فى صنع آلة الزمن حتى أتممتها، ثم حركتها فحملتنى إلى المستقبل البعيد الذى كنت أتشوّق إلى معرفته. ثم كان ما كان وأصبحت كالمحبوس فى فخّ من صنع يده. وندمت ندمًا شديدًا على ما فعلت. وهكذا الإنسان يجمع فى نفسه الحكمة والحمق جنبًا إلى جنب.

ولما عدت إلى المبنى الفخم لاحظت أن الناس هناك كانوا يبعدون

عنى على غيّر عادتهم، فتركتهم وشأنهم وانفردت وحدى عدة أيام. ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه، ونسى الناس ما حدث منى، ورجعوا إلى الالتفاف حولى ومضاحكتى.

وانتهزت الفرصة فتعلمت شيئًا آخر من لغتهم، وكانت كما ظهر لى لغة بسيطة لا تحتوى ألا على أسماء الأشياء المحسوسة والأفعال المعتادة، ولم يكن فيها شىء من العبارات المزوقة والمعانى الدقيقة. فكانت الجملة فيها لا تزيد على كلمتين. وقضيت حينًا طويلًا أحاول أن أفهم ما حولى، ولكنى كنت أجد نفسى دائمًا تميل إلى البقاء فى المكان الذى نزلت فيه، لأننى كنت أعتقد أن آلة الزمن ماتزال هناك.



٥

كنت أينما ذهبت أرى أرضًا تشبه الأرض التى نزلت بها فى مبدا الأمر. كانت الأرض كلها تشبه السهل المحيط بنهر «التيمز» فى شجيراته وأزهاره ومبانيه الضخمة على تنوع أشكالها واختلاف هندستها. وكنت أرى فى كل مكان أذهب إليه قبابًا من تلك القباب البيضاء التى تعلو فتحات تشبه فتحات الآبار. ومررت يومًا بإحدى هذه القباب، وكانت الفتحة التى تحتها عميقة حتى لم أستطع أن أرى لها قعرًا. وكان عنقها من أعلى من معدن البرنز. وكنت إذا وقفت عندها أسمع صوت خبط يشبه صوت الآلات الضخمة إذا دارت. فأشعلت عودًا من الكبريت لعلى أرى فى ظلام البئر شيئًا. فلم أر سوى ظلام دامس. ولاحظت أن تيارًا من الهواء ينزل إلى البئر ويحرك اللهيب، فألقيت قطعة من الورق فى فتحة البئر فحملها تيار الهواء معه سريعًا. فتعجبت من ذلك وظننت أن ذلك الهواء لابد أن يكون له منفذ يخرج منه فى جهة أخرى، وتلفتّ حولى فرأيت بناء يشبه البرج أوالمدخنة الضخمة، وكان الهواء يصعد من أعلاه فيخفق منه صهد يشبه الدخان الرقيق الذى يراه الإنسان يصعد من سطح الأرض إذا حمى الجو فى أيام الصيف. فخطر لى أن هذه المداخن هى منافذ الهواء النازل إلى الآبار، وأن هناك تحت الأرض مساكن يسكن الناس فيها، وأن هذه الآبار وتلك المداخن ما هى إلا مجار عظيمة لتجديد الهواء فى باطن الأرض. وقضيت زمنًا طويلًا أبذل الجهد فى فهم نظام الحياة فى

تلك الأرض، ولكنى عجزت. ولم يكن ذلك بالعجيب، فإن الفرق عظيم بين زمنى الذى أعرفه وبين ذلك الزمن الذى انتقلت إليه بعد مئات الألوف من السنين. فلنصور لأنفسنا رجلاً زنجيًا أتى من وسط أفريقيا إلى مدينة لندن، ولنسأل: ماذا يمكنه أن يفهم أو يدرك من حياته؟ وماذا يفهم من نظم السكك الحديدية أو البرق أو الراديو؟ وماذا يدرك من المصانع أو المعامل التى تزخر بها العاصمة الكبرى؟ وليس الفرق بين ذلك الزنجى وبين الإنجليز مثل الفرق الذى يحدثه التطور على مدى مئات الألوف من السنين بين إنجليز اليوم وإنجليز ذلك المستقبل البعيد. لم أستطع أن أفهم شيئًا مما حولى ولا كيف يعيش هؤلاء الناس الذين رأيتهم يمرحون ويضحكون. من أين يأتون بالملابس؟ ومن ذا الذى يأتى لهم بالفاكهة ليأكلوها؟ أليس هناك دكاكين تباع فيها البضائع؟ أليس هناك مصالح حكومية لقضاء أعمال الناس؟ وإنه لمن أعجب العجب أننى رأيت جميع الناس شبابًا ليس فيهم كهول ولا شيوخ. كانوا جميعًا فى ميعة الصبا يلمع الحسن فى وجوههم وأجسامهم البضة الناعمة. بل أين المدافن؟ فإنى لم أر فى كل الأرض التى سرت فيها مدفنًا واحدًا. كل هذه الأمور حيرت لبى بعد الأيام الأولى التى قضيتها فى ذلك الزمان.

وقد حدث بعد ذلك أن صادفت صديقًا عجيبًا. كنت أسير فى طريقى فمررت بجماعة يسبحون فى مجرى ماء، فأصيب أحدهم بتقلص فى عضلات رجله، وجرفه التيار معه. ومن عجب أن الآخرين جميعًا لم يحركوا ساكنًا، وتركوه لقضائه يموت تحت أعينهم. فهالنى المنظر، وخلعت ثيابى وألقيت بنفسى فى الماء وراءه، ولكن الماء لم يكن

عميقًا. فخضت فيه حتى بلغت الغريق وانتشلته ثم أسعفته بالعلاج حتى عادت إليه أنفاسه، فإذا بى أجده شابة صغيرة. كان هذا فى الصباح. فلما كان العصر لقيت الفتاة، فاستقبلتنى بترحيب وفرح وأهدت إلىّ عقدًا من الزهر، وسارت معى والسعادة تبدو عليها. ثم جلسنا على مقعد تحت مظلة حجرية، وأخذت الفتاة تنظر نحوى باسمة وتقبّل يدى. فعطفت عليها كما يعطف الإنسان على طفلة. وسألتها عن اسمها فعرفت أن اسمها «وينا» وكان أسمًا ظريفًا يلائمها. ونشأت بيننا من ذلك الوقت صداقة عجيبة سوف أقصّ طرفًا من أخبارها.

كانت «وينا» تحب أن تصاحبنى فى صباحها ومسائها، وتحب أن تكون معى أينما سرت وحيثما جلست. وكنت أحس وهى تسير معى بأن السير يجهدها ويكلفها فوق طاقتها، فكنت أشير عليها أن تتخلف عنى، ولكنها كانت تحزن حزنًا شديدًا وتتعلق بى. فزاد عطفى عليها وأصبحت هى أنيسى، حتى كنت إذا سرت وحدى فى جولة، ثم عدت إلى مكانها ولمحت التمثال الأبيض القريب من مسكنها، خفق قلبى وأحسست كأننى عائد إلى دارى وأهلى. فإذا ما أشرفت من الربوة نازلًا نحو المبنى الذى تقيم فيه وجدتها تنتظرنى عند العتبة. وقد عرفت منها أنها كانت تخشى الظلام، فلا تجرؤ على السير فيه، فدلنى هذا على سرّ كنت أجهله. وذلك أن هؤلاء الناس يجتمعون فى مكان واحد إذا أتى الليل ليناموا فيه جميعًا دفعًا للخوف عن قلوبهم. ولهذا كنت إذا دخلت فى الليل إلى المبنى الذى يقيمون فيه، وأشعلت عودًا من الكبريت، سرى فيهم الخوف فاضطربوا وتكمشوا معًا. ولم أر يومًا

أن فردًا منهم ينام وحده أو يقدم على الخروج من الدار فى ظلمة الليل.

ولكن «وينا» كانت أحيانًا تخرج معى فى الليل. وقد بلغ من تعلقها بى أنها كانت ترضى بأن تنام فى العراء متوسدة جانب ذراعى.

وقد اتفق يومًا أن كنت نائمًا وحدى فحلمت بأننى أغرق فى بحر، وأن بعض حيوان البحر يلمس وجهى بأهدابه، فصحوت من النوم واثبًا، فلمحت شبح حيوان أغبر يبعد عنى مسرعًا. فقمت منزعجًا ولم أجد إلى النوم سبيلا بعد ذلك. وقمت أسير فى الفضاء لأقضى سائر الليل فى حركة، وكان القمر يميل إلى الغرب، وقد بدأت أول سهام الفجر تطعن فى صدر السماء. ونظرت حولى إلى السهل ثم إلى الربوة وخيل إلىّ أننى أرى أشباحًا تتواثب فى الظلام ثم خيّل إلىّ أننى رأيت بياضًا يلمع متحركًا، وأننى لمحت وجه شخص أبيض يشبه القرد فى هيئته، وكان يسرع صاعدًا فوق سفح الربوة. فسرت أنظر ما ذلك الذى ظهر لى، فرأيت جماعة من أشخاص قرب مبنى خرب يحملون شيئًا أسود. فلما قربت منهم اختفوا عن نظرى ولم أعرف أين ذهبوا، كأن الأرض انشقت وبلعتهم فى باطنها. فحسبت أنهم اندسّوا بين أغصان الشجيرات الكثيرة ولكنى لم أستطع أن أرى لهم أثرًا. فكذبت عينى، وسرت فى طريقى وأنا أحس فى جسمى قُشَعْريرة من أثر هواء الصباح البليل.

ولما أشرقت الشمس وغمرت الفضاء بنورها الوضاء سرت أجوس بين الشجر، فلم أر شيئًا يدل على تلك الأشباح التى لاحت لى فى الليل. فقلت فى نفسى هازلاً: «لعلها أشباح الجن أو أرواح الموتى كانت تتنزه فى سكون الليل».

وزادت حرارة الشمس حتى صارت على غير ما عهدتها فى بلادى، ولم أدر لذلك من سبب سوى أن الشمس قد زادت حرارة على مر السنوات. وقد كنت أحسب أن الشمس سوف تخمد كما يقول بعض العلماء، وأن حرارتها سوف تضعف. ولكنى وجدت أن حرّها قد زاد حتى خيل إلىّ أننى فى بعض بلاد الجنوب. ومهما يكن من الأمر فقد سرت أبحث عن مكان أستظل به، فذهبت إلى خربة فيها أطلال من البناء فدخلت فيها، وكان الظلام شديدًا حتى لم تستطع عيناى أن تبصرا، فجعلت أتحسس طريقى حينًا، ثم وقفت فجأة وخفق قلبى. فقد رأيت أمامى فى الظلام نقطتين لامعتين تشعّان كأنهما جمرتان على بعد قليل منى. فخشيت أن يكون ذلك وحشًا يبرق بعينيه، وقبضت يدى بغير وعى، وفتحت عينى محدقًا فى العينين اللامعتين أمامى وخشيت إذا رجعت أن يهجم ذلك الوحش علىّ من ورائى. فجمعت نفسى وتقدمت خطوة، ثم نطقت بصوتى - وكان فى الحق صوتًا أجشّ مخيفًا ينم عن هيجان نفسى - ومددت يدى فإذا بى ألمس جسمًا طريًّا، وفى لحظة رأيت شبحًا يقفز مسرعًا ويهرب فى خفة من جانبى، فأحسست قلبى يثب فى صدرى، والتفتّ ورائى فرأيت شخصًا يشبه القرد فى مشيته يجرى خافضًا رأسه يقطع الفضاء المنير الذى خارج الخربة، ثم رأيته يسرع متعثرًا ثم يختفى فى ركن آخر من طلل على مسافة منى. لم أستطع أن أتبين من ذلك الشخص سوى عينين رماديتين واسعتين تخالطهما حمرة خفيفة، كما رأيت وجهه الأبيض وشعره السبْط المتهدّل على ظهره. وكانت مشيته عجيبة، لا أدرى أكان يسير على أربع أم أن يديه كانتا طويلتين تكادان تمسان سطح الأرض إذا سار.

وأسرعت نحو المكان الذى اختفى فيه فلم أجد له أثرًا، ومازلت



أبحث عنه حتى عثرت على فتحة بئر تشبه تلك التى رأيتها من قبل تحت القبة البيضاء. وكان البناء المتهدم يغطيها ويحجبها عن نظرى. فخطر لى أن ذلك الكائن العجيب قد هبط فى فتحة تلك البئر، فأشعلت عودًا من الكبريت ونظرت على ضوئه فرأيت شبحًا أبيض اللون ينظر إلىّ بعينيه اللامعتين وهو يهبط فى البئر مسرعًا. يا له من منظر بشع! لقد كان شكله يشبه شكل العنكبوت الضخم وهو يهبط على جدار البئر. وتأملت جانب الجدار فرأيت به شيئًا لم ألاحظ وجوده من قبل؛ وذلك أن عليه قطعًا من المعدن تشبه السلالم وأخرى تشبه المقابض لتمسك بها الأيدى. وانطفأ العود المشتعل. فلما أشعلت عودًا آخر كان الشبح قد اختفى عن عينى. وجلست إلى جانب البئر أفكر مذهولاً فى ذلك الذى رأيت. أيكون ذلك إنسانًا؟ ألا يكون الناس فى هذه الأرض بعد مضى الدهر الطويل قد انقسموا إلى جنسين أحدهما هؤلاء الأقزام فوق سطح الأرض، والآخر هؤلاء القردة فى باطنها؟

وعادت إلىّ ذكرى تلك الآبار التى رأيتها، وأصوات الخبط التى سمعتها، وتلك المداخن التى يتصاعد الهواء منها؛ وسبحت فى فكرى أسأل نفسى: «ألا يكون هذا العالم السفلى مقرًا لأمة عجيبة، وهذا الهواء ينزل إليها، تجره آلات ضخمة من فوهة الآبار، ثم تطرده آلات أخرى فتخرجه من تلك المداخن؟» إنها إذن لبقية مدنية عظمى بلغت ذروة القدرة والاختراع يومًا من الأيام، ثم هبطت بأهلها إلى هذا الحضيض الذى أرى.

ومازلت واقفًا عند فتحة البئر، والبناء المتهدم يظللنى، حتى مرّ بى

اثنان من الأقزام، أحدهما رجل والأخرى امرأة، وكانا يلعبان ويتقاذفان بالأزهار. فلما اقتربا منى وقفا مدهوشين، فأشرت إليهما أن يأتيا إلىّ، وجعلت أسألهما عن سر تلك البئر، ولكنهما أظهرا امتعاضًا شديدًا من حديث البئر، وبعدا عنى مسرعين.

فسرت عائدًا إلى المنزل حيث تركت الفتاة «وينا»، وكنت على طول الطريق أفكر فيما رأيت فى يومى. نعم لقد كان هؤلاء الذين رأيتهم بغير شك يسكنون باطن الأرض فى مواطن بناها أهل قرون خلت من قبلهم. وتفننوا فى تهويتها وإعدادها للسكنى. والدليل على ذلك لونهم الباهت الأبيض الذى لم تلفحه أشعة الشمس، وأعينهم الواسعة التى تبصر فى الظلام، وتلمع إذا انعكس عليها النور مثل أعين القطط والبوم.

نعم؛ ويدلّ على ذلك أيضًا خوفهم من النور وهربهم إلى ظلال الخربات وانحناء رؤوسهم حتى لا تؤذيهم أشعة الأضواء. وجعلت أسائل نفسى: «كيف صارت الإنسانية إلى هذا الانقسام حتى أصبح فيها جنسان أحدهما يعيش فوق الأرض والآخر تحتها؟» وخيل إلىّ أنه لا عجب فى ذلك مع تطاول الزمان؛ فإن الإنسان يقسم نفسه إلى طبقتين إحداهما عاملة والأخرى مسيطرة، فإذا ما اضطرت الأمم إلى أن تجعل مصانعها تحت الأرض، وصار العمال يعيشون فى دهاليزها المظلمة وسراديبها، لم يلبثوا على مر السنين أن يكونوا كهؤلاء الذين رأيتهم. وأما السادة المسيطرون فإنهم يعيشون فوق الأرض ناعمين وادعين لا يتصلون بالآخرين إلا بأن يستفيدوا بما ينتجون فى مصانعهم من الخيرات. ولا شك أن مثل هذا التباعد بين الطبقتين

يحدث انفصالاً بينهما فلا يمتزجان ولا يتزوج بعضهم من بعض، فينتهى الأمر إلى أن يصيروا جنسين مختلفين. ألا ما أشد الفرق بين ما كنت أتوهمه من فعل الزمان فى رقىّ المدنية وبين هذا الذى رأيت من فعله فى انحطاطها!

ولكن أى انتقام أوقعته الطبيعة بمن يعبثون بالحياة؟! إن السادة الذين عاشوا فوق السطح ناعمين قد فقدوا قوة الحياة وصاروا هم الجنس الأدنى.

ولما عدت إلى «وينا» سألتها عن هؤلاء الذين رأيتهم فنطقت باسمهم كارهة، وإن كان حبها لى لم يجعلها تبعد عنى أو تأبى الحديث معى. قالت لى: إن هؤلاء هم «المرلوك» كما يسمونهم فى لغة الأقزام حسان الوجوه. أما هؤلاء الأقزام البيض فكانوا يسمون أنفسهم شعب «الإيلوى».

٦

مضى عليّ يومان وأنا متردد في مواصلة البحث لمعرفة حقيقة المرلوك، ولا أدرى لذلك التردد سببًا سوى أننى كرهت مظهرهم وملمسهم الناعم ولونهم الأصفر. وكان الشهر القمرى قد قارب ربعه الأخير، ولا شك أن الظلام سوف يسود الأرض ويتيح لأهل الأسفل أن يصعدوا إلى السطح زرافات بعد زرافات.

وقد امتلأ قلبى يقينًا أن هؤلاء المرلوك هم الذين خطفوا «آلة الزمن»، واعتقدت أنى إذا أردت استرجاعها كان لابد لى من أن أقتحم عليهم عالمهم الأسفل باحثًا عنها. ولكنى ترددت فى أن أقدِم على هذا البحث. فكيف أذهب إلى ذلك العالم وحدى؟ وكيف أقدر على أن أهبط من فوهة إحدى الآبار فى الظلام؟ وما أدرانى كيف تكون حالى هناك ولا ما يلقانى عند كل خطوة أخطوها؟

وسرت يومًا فى بعض رحلاتى قاصدًا إلى الجنوب الغربى حيث تقع اليوم «غابة كومب» فرأيت عمارة شاهقة عجيبة الشكل، لم أر من قبل مثلها فى هندستها ولا فى بنائها. كانت هندستها شرقية وكان بناؤها من مادة تشبه الخزف الصينى، ولونها أخضر تشوبه زرقة. فقلت: «إن هذا البناء فريد فى نوعه، ولابد أن يكون قد أقيم لغرض يختلف عما أقيم له سائر البيوت». وكان النهار قد مضى أكثره بعد سير طويل أنهك قواى، فعزمت على تأجيل زيارة ذلك البناء إلى يوم

آخر. وعدت إلى منزلى حيث كانت «وينا» تنتظرنى كعادتها.

ولما وصفت لها البناء، وعزمت فى اليوم التالى على الخروج باحثًا عن مساكن المرلوك فى باطن الأرض تعلقت «وينا» بى، وأصرّت على الذهاب معى.

وذهبت إلى إحدى الآبار، فوقفت أنظر فيها، ثم هممت أن أنزل بها، فأمسكت «وينا» بثيابى، وأخذت تصرخ فى فزع حتى أضعفت عزيمتى، وجعلتنى أفكر فى الرجوع. ولكنى أبعدتها عنى فى شىء من الشدة، ونزلت مسرعًا على السلالم المعدنية التى فى جوار البئر خوفًا من أن أسمع صرخاتها فتُضعف عزمى. ورفعت رأسى بعد حين إلى أعلى فرأيتها تطل من فوقى فتبسمت لها لأطمئنها ثم هبطت مستعينًا بالمقابض المعدنية تحت ثقلى، وكدت أهوى فى البئر، لولا أننى تمسكت بمقبضين وتعلقت بهما حتى وضعت قدمى على الدرجة التى تحتها. ورفعت رأسى إلى فوق فرأيت فتحة البئر قد صارت حلقة ضيقة زرقاء، ورأيت نجمًا يلمع من ورائها، مع أن الوقت كان نهارًا. وكانت «وينا» لاتزال واقفة تطل برأسها، وظهر لى رأسها مثل كرة صغيرة سوداء بارزة من الفتحة. وكنت أسمع صوت الخبط من أسفل، وكان يزداد قوة مع كل درجة أنزلها حتى صار دويًّا هائلا يصم الآذان. واتضح عند ذلك أنه بلا شك صوت آلات ضخمة وهى تدور بغير انقطاع. وكان الظلام حولى حالكًا لا يمكن أن تبصر فيه العين شيئًا، ولم يبق من النور إلا الشعاع الضئيل الذى كان يظهر من فتحة البئر كالبقعة المستديرة. وأخيرًا رفعت رأسى إلى أعلى فلم أر رأس «وينا»، وخطر لى عند ذلك أن أعود من حيث نزلت تاركًا ذلك العالم السفلى

وظلامه، ولكنى مضيت فى النزول حتى رأيت إلى يمينى فتحة فى الجدار على بعد نحو قدم منى فطوّحت نفسى نحوها، ودخلت فيها فوجدتها نفقًا ضيقًا. فجلست هناك حينًا لأستريح، وكان التعب قد نال منى، وآلمتنى ذراعى ووجعنى ظهرى؛ وكان جسمى يرتعد مما عانيت من خوف السقوط، وأثر الظلام فى عينى. وكان الخبط المستمر يهز أعماق كيانى. فبقيت طريحًا ساعة من الزمان، ثم تنبهت على لمس يد ناعمة على وجهى. فوثبت قائمًا وأخذت عودًا من الكبريت فأشعلته، ورأيت على ضوئه ثلاثة أشباح تشبه الكائن الذى رأيته فى الخربة. وما كاد الضوء يلمع حتى أسرعت الأشباح هاربة، فتعجبت من جرأتهم فى الظلام وهربهم السريع إذا رأوا شعاع النور. ورأيتهم يندسّون فى جوانب النفق ويطلون برؤوسهم فتبرق عيونهم فى الظلام كالشرر. فصحت بهم أناديهم، ولكنهم لم يجيبوا بصوت، والظاهر أن لغتهم كانت تختلف عن لغة أهل السطح. فعاودنى الخوف وفكرت فى الهرب صاعدًا ولكنى قلت: «إننى قد بلغت الغاية فلا يجمل بى أن أنهزم». وسرت أتحسس خطاى فى النفق، وسمعت صوت الآلات يزداد شدة، ثم رأيت الجدران تتباعد وتنفرج حتى وجدت نفسى فى فضاء واسع، فأشعلت عودًا من الكبريت فرأيت حولى فضاء يشبه الكهف الواسع، وله سقف مقبَّب يمتد فى الظلام إلى أبعد مما يصل إليه بصرى. فلم أقدر أن أرى منه إلا قليلا على مدى الضوء الضعيف الذى ينبعث من عود الكبريت. وخيّل إلىّ أننى رأيت أشكال قطع ضخمة من آلات فى عَماية الظلام، وكان هواء المكان ثقيلًا تضيق منه الصدور، وشممت فيه رائحة دم مسفوك منذ عهد قريب، ورأيت على مسافة منى شيئًا يشبه مائدة معدنية، وعليها قطع من طعام تشبه أن تكون من اللحم. أيكون

المرلوك من أكلة اللحوم على غير ما عرفته فى شعب إيلوى؟ ولكن أى حيوان هذا الذى يأكلون؟ فإنى لم أر فى الأرض داجنًا من بقر أو معز أو ضأن أو خيل. ألا يكون هذا لحمًا بشريًّا؟

وتسلط علىّ الخوف من منظر هذه الآلات، ومن رهبة ذلك الظلام، ومن هذه المخلوقات التى تنتظر انطفاء النور لتعود وتمد أيديها الطرية إلىّ، وشعرت بالخطأ العظيم الذى وقعت فيه؛ فإنى لم أتخذ لتلك الرحلة عُدتها. فلم يكن معى سلاح أحارب به إذا دعا الأمر إلى حرب، ولم يكن عندى دواء أطهر به جرحى إذا جرحت، أو أعالج به مرضى إذا مرضت. بل إنى لم أحمل معى شيئًا من التبغ، وكنت أحيانًا أحس ميلًا شديدًا إلى نفس منه. ولو كنت أعرف أننى سأرى مثل هذه العجائب لأتيت معى بآلة تصوير لأحمل بها فى لحظة واحدة صور ما وقعت عينى عليه فى هذه الأغوار العميقة، حتى إذا خرجت إلى النور استطعت أن أتأمل مناظرها على مهل.

ولكنى وقفت هناك ولا سلاح لى إلا يدى وقوة جسمى، ولا عدة معى إلا هذه الأعواد القليلة من الكبريت التى بقيت معى.

وخشيت أن أتقدم خوفًا من أن أزُجّ بنفسى بين الآلات الضخمة فى الظلام. وكنت قد أسرفت فى إشعال أعواد الكبريت فلم يبق لى منها سوى أربعة. وفيما كنت واقفًا فى الظلام أفكر حائرًا شعرت بيد طريّة تلمس وجهى، وشممت رائحة كريهة، وسمعت أنفاس جمع كبير من هذه المخلوقات الصغيرة المنكرة. وما كان أشد انزعاجى عندما أحسست يدًا تحاول أن تَسْتَلّ صندوق الكبريت من بين أصابعى. ثم شعرت بأيد كثيرة تمتد إلى ثيابى. وكان الاشمئزاز الذى اعترانى عند

ذلك لا يمكن وصفه. وأدركت أننى عاجز، لا أدرى ما أسلوب هذا الخلق فى تفكيرهم، ولا أعلم ماذا هم فاعلون معى بعد لحظة. فصرخت فيهم صرخة عالية، فارتدوا عنى بضع خطوات؛ ولكنهم سرعان ما عادوا إلىّ وهم أشد جرأة، وسمعت منهم أصواتًا غريبة، فصرخت فيهم صرخة أخرى منكرة؛ ولكنها لم تزعجهم ولم تحرك فيهم خوفًا، بل سمعت منهم صوتًا يشبه الضحك. فعزمت على أن أشعل عودًا من الكبريت لأبعدهم عنى ريثما أهرب ناجيًا بنفسى. وفعلت ذلك، ثم أوقدت قطعة ورق، وتمكنت من الوصول إلى النفق الضيق؛ وما كدت أصل إليه حتى خمد اللهيب،وما كاد الظلام يعود حتى سمعت حركة المرلوك كأنها حفيف أوراق الشجر إذا هب عليها الهواء، وكان وقع أقدامهم على الأرض يشبه صوت وقوع المطر. وما هى إلا لحظة حتى وجدت عدة أيد تمتد إلىّ وتمسك بى، فأشعلت عودًا آخر وهززته فى وجوههم، وما كان أقبحها من وجوه صفراء تتقزّز منها النفس! كانت وجوههم لا ذقون لها، وعيونهم الرمادية المحمرة لا جفون عليها. ولم أقف لأنظر إليهم بل أسرعت خارجًا. فلما خمد العود أشعلت ثالثًا حتى خمد، وكنت قد بلغت آخر النفق، ومددت يدى إلى المقبض الذى فى جدار البئر، وهممت بأن أطوح نفسى إلى درجة السلم المعدنى، ولكنى ما كدت أفعل حتى شعرت بيد تقبض على قدمى وتحاول أن تجذبنى. فأشعلت العود الذى بقى معى ولكنه انطفأ فجأة، فرفست برجلى رفسة قوية خلصتها بها من قبضة المرلوكى وأخذت أصعد فى البئر مسرعًا وهذه الكائنات تطل برءوسهم، وتبرق بأعينها اللامعة فى أثرى.

وتجرأ واحد منهم فأسرع ورائى وكاد يخلع منى حذائى، ولكنه عاد بعد حين. وواصلت الصعود وكان شاقًا، حتى خيل إلىّ أننى لن أبلغ فم البئر مرة أخرى. ولما صار بينى وبين الفوهة نحو ثلاثين قدمًا اعترانى دوار حتى كدت أضعف وأهوى إلى القرار السحيق. ولما صرت على خطوات منها أصبح جهادى عنيفًا، وأصابنى شبه إغماء، حتى خيل إلىّ أننى أرِفّ فى فضاء لا قرار له. فما بلغت حافة البئر حتى قذفت نفسى قذفًا فوق الأرض، وأعشى النور عينى فانقلبتُ على وجهى. وكان كل شىء حولى يبدو لى جميلا حتى رائحة التراب. فقد كانت فى شمى عطرة نظيفة بعد ما شهدته تحت الأرض فى ذلك العالم السفلى من قبح ووسخ. لقد كان كل شىء إذا قيس بذلك العالم السفلى جميلاً بهيجًا. وسمعت صوت «وينا» وهى تصيح بى، وشعرت بقبلاتها، وسمعت أصوات جمع من شعب إيلوى يتحدث حولى، ثم غبت عن وعيى.

٧

كـان لمعرفتى بـأهل بـاطن الأرض أثر عـظيم فى نفسى. فقد كنت أحسب أن الأرض ليس فيها إلا هؤلاء الأقزام الـذين يعيشون عـلى سطحها، وكنت لاأرى بأسًا بهم، إذ كـانوا ولاعيب فيهم سـوى فرط الـوداعـة وخمـود النفس وضعف الهمـة، ومـا عـرفت فيهـم من صفات الطفولة. وكنت لا أزال أعلل نفسى بأننى سوف أجد آلة الزمن فى موضع من المواضع، بعد أن أعرف الأرض وأخبر أهلها وطباعهم؛ ولكنى بعد أن كشفت موطن المرلوك وشهدت من طباعهم ما شهدت امتلأ قلبى غمًا وهمًّا. لقد كان فى طبعهم خبث وبعد عن الإنسانية، لا يألفون، ولا يؤلفون، ولا يحب أحد أن يعيش معهم أو قريبًا منهم. فأحسست كأنى حيوان وقع فى شرك الصائد، وهو يتوقع أن يدهمه عدوه من دقيقة إلى أخرى. وبدأ الخوف من الظلام يملكنى. فقد كنت من قبل أسمع من «وينا» أنها تخاف الظلام فلا أفهم حقيقة معناها؛ وأما منذ عرفت المرلوك فقد تبين لى هذا المعنى جليًّا. فكنت فى كل ليلة إذ أرى القمر يتأخر ساعة فى الطلوع، وأرى مدة الظلام تطول، تحيط بى المخاوف من المرلوك ولا أدرى ماذا يفعلون، وأى مكر خبيث يدبرون؟ وهم قادرون على كل مكر خبيث. وأخذت أسائل نفسى: «ماذا يصيب الإيلوى المساكين من شرهم؟» وخطر لى تفسير عجيب لما صارت إليه الحياة فى هذه الأرض. فأكبر ظنى أن الإيلوى كانوا فى مبدأ الأمر، كما قلت من قبل، هم طبقة السادة الذين يحكمون ويسيطرون ويتمتعون بالحياة، على حين كان المرلوك

هم أهل الطبقة الدنيا الذين يقومون بالأعمال الشاقة والصناعات المختلفة. واتسعت شقة الفرق بين الطبقتين، فبقى الإيلوى على سطح الأرض يتمتعون بمباهج الحياة ونعيمها، واتخذت الطبقة الدنيا بطن الأرض مسكنًا لها، عندما أصبح بطن الأرض مقر آلات الصناعة الضخمة التى تفنن الإنسان فى اختراعها. وبقى المرلوك يشتغلون مع الآلات تحت الأرض تحت تغيرت أجسامهم وتبدلت حواسهم من أثر الظلام والهواء المختنق. ولم يكن بين الطبقتين اختلاط، فانفصلا وتباعد ما بينهما، حتى صارا جنسين مختلفين من الأحياء. ولكن الإيلوى صاروا على مر الدهور أقزامًا لا حيلة لهم ولا همة، وأصبح المرلوك هم أصحاب العمل الذين ينتجون لهم ما يحتاجون إليه من ثياب وطعام، وهنا بدأت الطبيعة تأخذ ثأرها. فإن المرلوك الذين قذف بأجدادهم إلى باطن الأرض، فأقاموا هناك قرونًا بعد قرون، قد صاروا هم الأخبث والأجلد والأوسع حيلة، وصاروا هم الذين يخشى بأسهم ويحاذر الإيلوى أن يخرجوا إليهم فى الظلام خوف أن ينهبوهم نهبًا. خطر لى هذا كله وفهمت السر الذى يجعل الإيلوى يخشون الظلام مثل تلك الخشية، ويشمئزون ممن يقترب من فتحات الآبار، ولا يجرؤون هم على الاقتراب منها. وفهمت كذلك السر فى أنهم يتزاحمون فى مراقدهم بالليل حتى يأتنس بعضهم ببعض.

ثم سألت نفسى: «من أين يأتى هؤلاء المرلوك باللحم الذى يأكلونه؟» لقد شممت فى كهوفهم رائحة الدم المسفوك، ورأيت اللحم مكدّسًا على المائدة. ألا يكون هؤلاء المرلوك يُطعمون الإيلوى ويعطونهم الثياب كما يُطعم الناس فى عصرنا هذا أنواع الحيوان من

الغنم والبقر والمعز؟ أيكون الإيلوى هم دواجن المرلوك؟ وما كان أشد وقع هذا السؤال على نفسى!

ولما تفتحت عيناى لهذه الحقائق الجديدة عادت إلىّ همتى التى كنت أحس أن الفتور قد دَبّ إليها. فإنى لم أكن من أهل تلك العصور المستقبلة والحمد لله، بل أنا من أهل عصر فتىّ، وما كان الخوف ليشلّ همتى، وأنا أستطيع الدفاع عن نفسى، وما علىّ إلا أن أعدَّ لى سلاحًا وأن أتخذ لى حصنًا أتحصن فيه عند النوم.

فخرجت بعد الظهر أبحث عن مكان يصلح لأن أتخذه مأوى أبيت فيه فلم أجد فى وادى النهر مكانًا صالحًا؛ إذ كانت كل المبانى وكل الأشجار سهلة الوصول لمن أراد التسلل إليها من هؤلاء المرلوك. وتذكرت القصر الأخضر الأملس الذى رأيته مرة فى جولتى قبل أن أنزل فى البئر، وكان بناؤه من الخزف الأملس، وله بروج عالية تصلح لأن تحصن فلا يصعد إليها صاعد منهم. فأخذت «وينا» معى، وجعلتها على كتفى وسرت نحو التل قاصدًا إلى الجنوب الغربى؛ وكنت أحسب أن القصر على مسافة لا تزيد على نحو سبعة أميال أو ثمانية، ولكنى وجدت أنه على نحو ضعفى هذه المسافة. ذلك لأنى عندما رأيته أول مرة على البعد كان الجو رطبًا والمسافات تبدو فيه أقل من حقيقتها. وكان السير شاقًا لأن كعب نعلى كان مخلوعًا، وكان فيه مسمار ينفذ إلى قدمى، فكنت أعرج على طول الطريق. فما بلغت القصر الأخضر إلا بعد غروب الشمس بزمن طويل.

وكانت «وينا» تنزل أحيانًا عن كتفى وتجرى بقربى فتجمع الأزهار وترشقها فى عُرى ثوبى وجيبى. ولما غربت الشمس وتعبت

من طول السير أتت إلىّ وطلبت أن تعود إلى البيت. فأشرت إلى القصر الأخضر وأفهمتها بقدر ما استطعت أننا سنذهب إلى هناك لنكون فى مأمن من المخاوف. وكان الجو صحوًا، وليس فى السماء إلا خطوط سحاب مستعرضة تحيط بالشمس الغاربة وكان الهواء ساكنًا لا يسمع فيه صوت ولا حركة. وثقُل هذا السكون على نفسى حتى صار يخيل إلىّ أننى أرى أشباحًا تتحرك على التل أمامى، وأن المرلوك يتربصون بى فى كل مكان، لينتقموا منى على جرأتى فى النزول إلى مأواهم العميق. وخيم الظلام،وكنا لانزال نسير، فاستولى الخوف على «وينا»، فحملتها بين ذراعىّ، وجعلت أضاحكها وأحدثها، فمالت على كتفى وأقفلت عينيها، ومازلت سائرًا أصعد حينًا وأهبط حينًا وخضت نهرًا صغيرًا ومررت ببعض بيوت من تلك المبانى التى ينام الإيلوى فيها؛ ولم أر فى كل ذلك السير أثرًا للمرلوك. ورأيت أمامى ربوة على رأسها غابة كثيفة ظهرت على صفحة السماء سوداء قاتمة، فترددت فى السير نحوها، إذ كانت تعترض الربوة، لا يبدو لها طرف من يمين ولا من شمال. فوقفت وأنزلت «وينا» إلى الأرض فى رفق، ثم جلست على العشب. وكان التعب والألم قد أنهكا قواى، وأخذت أتأمل الغابة الكثيفة، ولا أدرى ماذا يكون فيها من أخطار؛ ناهيك بما يتعرض السائر فيها من العثرات فى الأغصان المحطمة أو الفروع الملتفة أو بقايا الجذوع البارزة. ولذلك عزمت على قضاء الليلة فى البراح.

وكانت «وينا» غارقة فى نومها، فلففتها فى ردائى، وجلست إلى جوارها أنتظر طلوع القمر، وكنت أرى جانب التل ساكنًا، ولكنى كنت أحس بين حين وحين من قِبَل الغابة حركة تشبه حركة الأحياء.

وكانت النجوم تلمع فى السماء وتبعث شيئًا من الأنس إلى قلبى. ولاحظت أن نظام النجوم غير النظام الذى أعرفه. فإن النجوم تتحرك من مواضعها فى أبراجها حركة قليلة ضئيلة لا يدركها حس الإنسان فى مدى عمره كله، ولا يدركها الناس فى مدى أعمار مائة من أجيال البشر، ولكن مضىّ مئات الألوف من السنين قد جعل لهذه الحركة الضئيلة أثرًا كبيرًا فى تبديل مواقع النجوم بعضها بالنسبة إلى بعض؛ ولهذا صارت أشكال البروج على غير ما عهدته فيها. فلم يكن فى السماء شىء باق سوى تلك السحابة النقية البيضاء التى نسميها «طريق التبانة» أو «الطريق اللبنى». ورأيت نجمًا أحمر فى الجنوب لم أره من قبل فى حياتى. ولاشك أنه كان فى عصرى خافتًا يخفى عن الأنظار، ثم ظهر على مر الزمن، عندما اقتربت الأرض منه فى سياحتها الأبدية فى الفضاء.

ولما طال تأملى لهذه النجوم هانت علىّ همومى وصغرت فى عينى هذه الحياة وهذه الأرض. وكنت كلما تذكرت هذا البعد الشاسع الذى يفصل بيننا وبينها، وكلما تذكرت حركتها الدائمة فى أجواز الفضاء الذى لا تحده الحدود، وقع جلال الخالق فى قلبى. فسبحان الله الدائم العظيم مدبر هذا الكون العجيب!

وأخذ النوم يغالبنى وأنا أغالبه وأحاول طرد صورة المرلوك من ذهنى. وطال الليل فى هذا الجهاد حتى طلع خيط شعاع من الشرق، ثم ظهر القمر مقوّسًا، ولم يلبث بعده الفجر أن بعث فى السماء بشائره شعاعًا بعد شعاع: من أغبر إلى أصفر إلى وردى، ثم تنفس الصبح بأنواره ودفئه. ولم يظهر لنا فى تلك الليلة أحد من المرلوك. فقمت

واقفًا. وما كدت أفعل حتى شعرت بالألم الشديد فى كعبى. فجلست أنظر إليه فإذا به قد ورِم. فخلعت نعلى ورميتها فما كان لى نفع من لبسها.

وأيقظت «وينا» من نومها وسرت معها إلى الغابة، وكانت فى النهار خضراء بديعة بعد أن كانت فى الليل سوداء مخيفة، وأكلنا من فاكهتها؛ ومررنا فى أثناء سيرنا بجماعات من الأقزام يلعبون فى ظرافتهم المعروفة، ويرقصون فى ضوء الشمس كأنهم لا يعرفون الظلام ولا مخاوفه. وعند ذلك عادت إلى ذهنى ذكرى اللحم الذى رأيته مكدسًا فوق المائدة فى سراديب المرلوك تحت الأرض، وشعرت برحمة شديدة لهؤلاء المساكين الظرفاء الذين لا يحسون بالمصائب التى تصيبهم من المرلوك، إذ يتسللون إليهم فى الليل ويصيدون منهم كل من تصل أيديهم إليه ليذبحوه ويأكلوه. نعم إنهم يفعلون ذلك، فما من شك عندى فى أن المرلوك الذين يعيشون تحت الأرض لا يجدون شيئًا يأكلونه. وكان السادة فى أول الأمر يحرمونهم أكل الفاكهة التى فوق الأرض، فعادوا لا يجدون للطعام إلا الفيران وأمثالها من دنىء الحيوان، فأصبحوا على مرور الزمن من أكلة اللحوم. فلما انقطع دابر الفيران وأمثالها لم يجدوا طعامًا إلا أن يخرجوا إلى سطح الأرض يبحثون عما يسد الجوع. فوجدوا شعب الإيلوى قد أصبح ضعيفًا يعيش فى نعيم ولهو ولعب، وليست له قوة ولا همة، فصاروا يصيدون منهم ويأكلون. هكذا الطبيعة تجرى على سننها؛ وهكذا صار بنو الإنسان أبعد الأشياء عن الإنسانية!

وعدت إلى نفسى أقول لها: «لماذا الحزن على الإيلوى وهم

لا يزيدون على الغنم والبقر وأمثالها؟ إنهم يأكلون ويسمنون ويمرحون ثم يؤكلون!».

ونظرت إلى «وينا» وهى تلعب وتجرى كالمعزى إلى جانبى، وهززت رأسى مستسلمًا لحكم الأقدار، فليست «وينا» سوى واحدة من شعب ينال جزاءه لأنه أرخى لنفسه العنان فى التمتع وحياة النعومة، وعاش على كدّ غيره فلم يرحم المرلوك وتركهم يعيشون فى الظلام ويعملون ويكدون ويجوعون، وهذا هو القدر يردّ لهم الجزاء بعد مرور الزمن الطويل، فيجعلهم طعامًا للمرلوك.

ولكنى مع كل هذا لم أستطعٍ أن أنزع الرحمة من قلبى. فكنت أحس فى قرارة نفسى حزنًا عميقًا على حال الإيلوى المساكين؛ فإنهم لايزالون فى صورة الإنسان، ولهم وجوه حسنة وملامح جميلة وفيهم وداعة وظرف وخفة روح، وإن كانوا قد أصبحوا أقزامًا ضعفاء بلهاء خالين من قوة الإرادة والهمة.

وانشغل فكرى بعد ذلك فى أن أجد حيلة لحماية نفسى من المرلوك. فجعلت أنظر حولى لعلى أجد قطعة من المعدن أو الحجر أصنع منها سلاحًا، أو أن أخترع طريقة أشعل بها النار بعد أن فرغت علبة الكبريت التى كانت معى. فإنى عرفت أن المرلوك لا يخافون شيئًا مثل خوفهم من النار. وعادت إلىّ الفكرة القديمة أن أذهب إلى قاعدة التمثال فأكسرها لعلى أجد آلة الزمن فيها. فأين ذهبت الآلة إذا هى لم تخبأ فى قاعدة ذلك التمثال؟ أيستطيع المرلوك أن يجرّوها مسافة ميل أو أميال إلى فتحة بئر من الآبار؟ ثم هل يمكنهم أن يحملوها وينزلوا بها إلى أسفل الأرض؟ هذا محال! فلابد أنهم أخفوها فى أقرب مكان من

موضعها، وهو قاعدة التمثال البرنزية.

سرت فى طريقى مفكرًا فى كل هذا قاصدًا نحو القصر الأخضر البرّاق الذى عزمت على أن أتخذه حصنًا أقيم فيه فى مأمن من هجوم المرلوك إذا حل الظلام.



٨

عندما وصلنا إلى القصر الأخضر لم نجد سوى بيت خالٍ متهدم، لم يكن به إلا قليل من زجاج النوافذ. وكانت وجهته محطمة، قد سقط منها قسم كبير من صفائح الحجارة، ولم يبق إلا إطارها المعدنى الذى علاه الصدأ وأكله. وكان بناء القصر عاليًا يشرف على سهل معشب. وعلى مقربة منه خليج عريض من البحر. فأدهشنى وجود البحر هناك؛ لأن عهدى بذلك الموضع سهل فيه مدينتان عظيمتان. وتبين لى عند ذلك أن الأرض نفسها تتغير وتتبدل، فالقرى والسهول تزول وتندكّ ويحل فى مكانها ماء البحر فيطوى الأرض والقرىٍ فى جوفه، كما أن البحر قد يزول ويغيض ويعلو قاعه فيصير جبالاً وهضابًا. وأخذت قطعة من حجر البناء أتأملها فوجدتها من الخزف حقًا. ورأيت عليها كتابة بحرف لا أعرفه، فظننت أن «وينا» تقدر أن تساعدنى على قراءته ولكن ما كان أشد جهلى! إنها لم تكن تعرف شيئًا اسمه الخط، ولم يخطر ببالها يومًا معنى شىء اسمه الكتابة. وكان سبب ذلك الخطأ الذى وقعت فيه، عندما ظننت أنها قد تقدر على فهم الكتابة أن هيئتها وصورتها هى هيئة الإنسان وصورته، وأننى وجدتها تتعلق بى وتعطف علىّ تعلق الإنسان بالإنسان وعطفه عليه. ولكن ما كان أشد جهلى! ولما دخلت البناء المتهدم وجدت أمامى طرقة طويلة فيها نوافذ عدة على جانبيها فكانت فى نظرى أشبه شىء بالمتحف. وكانت أرضها من بلاط فوقه طبقة ثخينة من التراب. وكان حول الجدران

صف طويل من أشياء مختلفة يغطيها التراب الأغبر.

ورأيت فى وسط المكان هيكلاً عظميًّا لحيوان منقرض قد تحطم أعلاه من الرأس إلى الكتف، وتفتت جزء آخر منه من أثر قطرات من ماء المطر كانت تساقط عليه من ثقب فى السقف. وكان على مسافة من ذلك جزء من هيكل عظمى آخر لحيوان كبير، فتأكدت لى فكرتى فى أن هذا البناء كان فيما مضى متحفًا عظيمًا، ثم أهمل وتهدم على مرور الزمن عندما انحط ذكاء الناس.

وذهبت إلى جانب الطرقة، وكان عليه رفوف منحدرة، فأزلت التراب عنها فإذا هى صناديق من الزجاج مما تعرض فيه التحف، وفيها صنوف شتى من نماذج الأحياء والحفريات، وكانت كلها سليمة. ولعل السبب فى ذلك أن أغطية الصناديق محكمة لا ينفذ الهواء منها. ولعل لذلك سببًا آخر وهو أن الإنسان، فى مدة الأزمنة الطويلة التى تفصل بين عصرنا وبين هذا العصر الذى انتقلت إليه، كان قد سخّر العلم فى محاربة الميكروب الذى يحلل الأجسام ويسبب تعفنها؛ فبقيت تلك النماذج حية لسلامتها من ذلك الميكروب. وكان السكون يخيم على المكان، وطبقة التراب تكتم صوت أقدامنا إذ نسير. ومازلنا ننتقل فى أرجاء ذلك البناء، وكان أوسع مما كنت أتصوره. والظاهر أنه لم يكن متحفًا فقط بل كان كذلك فيها أظن مكتبة ومعرضًا تاريخيًّا. ودخلنا إلى طرقة أخرى تتجه إلى اليمين فإذا هى معرض للمعادن، وكان من بين ما فيها كتلة كبيرة من الكبريت، فذكرنى ذلك بالبارود. ولكنى لم أر أثرًا لملح البارود. ولعله كان موجودًا قبل ذلك ثم تحلل وفنى منذ قرون. ولم أجد فى تلك الطرقة شيئًا آخر يستحق الذكر أو الاهتمام



لأننى لم أكن من المختصين بالمعادن، فخرجت منها إلى ممر صغير مواز للطرقة الأولى، ويظهر أنه كان معرضًا للأحياء من نبات وحيوان، وقد اندثر كل ما كان فيه وفنى أو تغيرت صورته، فلم أقدر على تمييز شىء سوى بقايا متكرشة من حيوان محنط أو محشو، وبقايا أجسام مشرحة فى أوعية كانت بغير شك مملوءة بالكحول فيما مضى. وكانت هناك بقايا من نماذج النبات، ولكنها تحللت ولم يبق منها إلا رماد أغبر. وقد أسفت لضياع تلك النماذج؛ إذ لو كانت سليمة باقية لأفادنى ذلك فى معرفة صور الحيوان والنبات جيلا بعد جيل فى طبقات التطور.

ثم خرجت إلى بهو عظيم قليل الضوء، تنحدر أرضه انحدارًا يسيرًا، وكانت فيه كرات بيضاء معلقة فى السقف، بعضها سليم وأكثرها مشقق أو محطم. وقد خيل إلىّ أن هذه قد تكون بقية مصابيح كانت مستعملة فيما مضى من القرون لإضاءة المكان. ورأيت على جانبى البهو مجموعة من آلات ضخمة مختلفة الأنواع قد علاها الصدأ، وتفتت جانب كبير منها أو تكسر. ولا تسلْ عن سرورى عندما وقع نظرى على تلك الآلات، فإننى مغرم بها ولى ولع بصناعتها، فجعلت أتأمل أجزاءها وأفحصها. وكان كثير منها عجيب الشكل غريبًا لاعهد لى بمثله، فكنت إذا وقفت أمام واحدة منها أحس كأننى أمام لغز غامض أحاول أن أحله. وتمنيت لو تمكنت من كشف بعض أسرارها، فإنى كنت بذلك أملك فى يدى قوة هائلة لا أعجز معها عن مكافحة المرلوك جميعًا.

وشعرت فجأة أن «وينا» تقترب منى وتتعلق بثيابى، فنظرت حولى فإذا بى أرى أن البهو يمتد إلى قرار بعيد مظلم؛ فإن الانحدار اليسير

فى أرضه أدّى إلى أن صار مدخله أعلى بكثير من المكان الذى وصلنا إليه. وكان طرف البهو من أقصاه فى الداخل شديد الظلام لا يظهر فيه شعاع من النور.

ولاحظت أن طبقة التراب التى فوق الأرض قد صارت رقيقة، ورأيت عليها آثار أقدام صغيرة. فتنبهت عند ذلك إلى أن المرلوك لابد أن يكونوا قد اتخذوا أطراف ذلك المكان مأوى.

وكان الوقت قد مضى مسرعًا، وقارب النهار نهايته، وكنت أعزل من كل سلاح، ولم يكن فى ذلك المبنى موضع أقدر على أن أعتصم فيه، وقد فرغ ما كان معى من أعواد الكبريت. وسمعت فى السكون العميق صوتًا يشبه وقع أقدام صغيرة، مثل الصوت الذى سمعته من قبل تحت الأرض فى السراديب المظلمة. وخطر لى خاطر سريع فأسرعت إلى آلة قريبة منى لها ذراع بارزة، فصعدت فوقها، وأخذت تلك الذراع فى كلتا يدىّ وجذبتها بكل قوتى حتى ثنيتها. وسمعت عند ذلك صوت «وينا» وهى تبكى كالطفلة فجمعت كل قوتى وضغطت على الذراع فانكسرت، وأسرعت إلى «وينا» وفى يدى مرزبة أقدر أن أحطم بها رأس من يجرؤ على التعرض لى من المرلوك. وكنت من غيظى أود لو لقيت أحدهم فأقتله لأشفى منه نفسى، وإن كان القتل فى ذاته فظيعًا. هذا كان شعورى على كل حال. ولكنى لم أحاول البحث عن أحدهم خوفًا على «وينا» إذا تركتها وحدها. وقد خشيت إذا أنا بدأت بعداوة هؤلاء الخبثاء أن أدفعهم إلى الانتقام منى، وقد لا يجدون وسيلة لذلك الانتقام إلا أن يفسدوا آلة الزمن أو يحطموها. فأخذت بيد «وينا» فى شمالى وحملت العصا الحديدية فى يمينى، وخرجت

من البهو عائدًا، فدخلت فى بهو آخر فيه آثار خرق بالية فقربت منها أفحصها فوجدتها أشبه الأشياء بأن تكون بقايا كتب قديمة، ولو كنت من الأدباء لوقفت هناك مليًّا أتأمل أحوال الإنسان وأستخلص الحكم من هذا الفناء، وأؤلف الأسفار فى تفاهة هذه الحياة وصغر شأنها وبطلان نعيمها وزوال مجدها وكل ما يتعلق بها. ولكنى - ولست بالأديب - قد هالنى ضياع جهود الأجيال الكثيرة من الأدباء الذين دأبوا ليلاً ونهارًا على كتابة تلك الأكوام من الأوراق التى لم يبق منها سوى هذه البقعة البالية التى لا يظهر حرف فوقها. فما أجدر الإنسان بأن يتعظ بالفناء!

وسرنا حتى بلغنا سلمًا عريضًا صعدنا فيه إلى بهو كبير كان فيما مضى متحفًا للكيمياء بغير شك. فأشرق علىّ الأمل أن أجد فيه شيئًا ينفعنى. وكان أكثر البهو سليمًا إلا جزءًا منه خرّ السقف من فوقه، فذهبت أدس يدى فى الأوعية السليمة التى نجت من الكسر، وما كان أشد فرحى عندما وجدت فى أحدها - وكان محكم الغطاء - صندوقًا من أعواد الكبريت، فحككت أحدها فاشتعل نارًا فالتفت إلى «وينا» وقلت لها: «هلم ارقصى!» وأخذت بيدها وجعلت أرقص معها فوق بساط التراب الوثير، وغنيت أغنية مرحة. لقد وجدت علبة من الكبريت!

وسرت بعد ذلك أنظر إلى بقايا ما فى الجرار الزجاجية فوجدت بعض كافور فى زجاجة كانت محكمة الغطاء، وكنت على وشك أن أتركه لولا أننى تذكرت أنه يقبل الالتهاب وله نور لامع. فوضعته فى جيبى لعله يكون لى نافعًا. وجعلت أفتش عن شىء من البارود أو ما يشبهه من المتفجرات لعلى أقدر على نسف قاعدة التمثال، فلم أجد

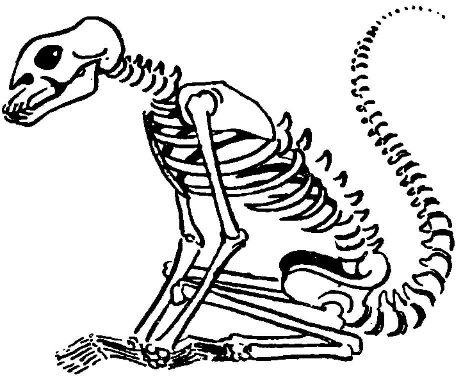
من ذلك شيئًا. فقلت حسبى هذه المرزبة سلاحًا، وهذا الكبريت وذلك الكافور كنزًا. وخرجت أسير من بهو إلى بهو لا أذكر كل ما رأيت فيها من عجائب وغرائب، وكان من بينها بعض آثار من آلات الحرب، فيها قطع علاها الصدأ من سيوف وفؤوس وبنادق ومدافع وما إليها. ولكن أكثرها كان كتلاً من الصدأ الذى إذا لمسته انهار رمادًا. ورأيت بينها قطعًا من معدن لا أعرفه قد بقيت منه بقية سليمة، ولكنى لم أجد قنابل ولا قذائف، ولابد أنها قد صارت كلها ترابًا. ورأيت ركنًا من المكان محترقًا متهدمًا، ومن الجائز أن تكون إحدى القنابل قد انفجرت فيه فحطمته منذ عصور طويلة.

ورأيت فى بهو آخر مجموعة من أصنام بعضها مثل أصنام جزائر المحيط الهادى، وبعضها يشبه أصنام المكسيك، وأخرى تشبه تماثيل اليونان أو الفينيقيين. بل لقد كان فيها ما يشبه نماذج التماثيل فى كل بلاد الأرض. فنزعت نفسى إلى أن أكتب اسمى على أنف تمثال أعجبنى، وكان يشبه وحشًا من وحوش أمريكا الجنوبية.

وخرجت بعد ذلك إلى فناء مكشوف فيه ثلاث أشجار تحمل فاكهة، فجلسنا وأكلنا من ثمارها، وكانت الشمس قد قربت من الغروب، فأخذت أفكر فى الموضع الذى نقضى الليل فيه، ولم يكن شىء مما رأيته يصلح لذلك. ولكنى لم أعبأ بهذا، فقد كنت أقبض على المرزبة الحديدية بيمينى، وكانت علبة الكبريت فى جيبى، وهى أقوى سلاح أستطيع أن أجاهد به المرلوك. ثم كان معى الكافور إذا احتاج الأمر منى إلى إشعال لهيب قوى. فرأيت خير ما أفعله أن نذهب إلى

البراح ونقضى الليل فى العراء تحت السماء ونحمى أنفسنا بنار نوقدها على مقربة منا.

وعزمت على أن أعود فى الصباح إلى المكان الأول الذى نزلت فيه لأحطم قاعدة التمثال لعلى أجد فيها آلة الزمن. وكانت المرزبة التى معى كفيلة بتحطيم جوانبها البرنزية، ولم تكن فى ظنى متينة تمتنع على التحطيم.



٩

خرجنا من القصر الأخضر وقد مدت الشمس يمينها إلى الأفق الغربى، وعزمت على العودة إلى تمثال «أبو الهول» فى بكرة اليوم التالى. ولذلك رأيت أن أخترق الغابة الكبيرة القريبة قبل أن يخيم الظلام، حتى أكون قد قطعت مرحلة من السير قبل النوم. وقدّرت أن ننزل للمبيت فى موضع من المواضع بعد اجتياز الغابة فنوقد نارًا نقضى الليل فى حمايتها حتى الصباح. وأخذت أجمع ما استطعت حمله من الأحطام والهشيم. وكان لابد لى من السير بطيئا، إذ كانت «وينا» متعبة من طول جولتنا فى القصر، وكنت مثلها متعبًا والنوم يثقل جفنىّ، فلم نبلغ التل الذى عليه الغابة حتى كان الظلام قد انتشر فى الفضاء.

وترددت «وينا» فى السير خوفًا. وظهرت الغابة أمامنا كأنها حائط أسود. وأحسست فى نفسى شعورًا غامضًا بقرب وقوع كارثة. وكان هذا الشعور جديرًا بأن أجعله نذيرًا يمنعنى من دخول الغابة فى تلك الليلة ولكنه لم يزدنى إلا إقدامًا؛ لأننى كنت مضطرب النفس قلقًا من أثر التعب وقلة النوم؛ إذ لم أذق نومًا مدة ليلة ونهارين. ودخلنا فى أطراف الغابة بين شجيرات وأعشاب وحشائش طويلة، وسرنا مترددين نتحسس خطانا. والتفتّ مرة ورائى فرأيت ثلاثة أشخاص باركين على الأرض لا يكادون يظهرون من الظلام. فاعترانى خوف شديد، ولم آمن أن يقتربوا منى. وكان عرض الغابة فى ظنى يبلغ مسيرة ميل أو أقل، فحسبت أننى أستطيع أن أنفذ منها سريعًا إلى البراح

الذى وراءها، وهو أصلح للمبيت من الناحية التى وراء ظهرى. واتكلت على أعواد الكبريت التى معى وعلى الكافور التى عثرت عليه، أستعين بهما على إضاءة الطريق. وفكرت فى الحطب الذى فوق يدى، وكان يمنعنى من حرية الحركة إذا أردت إشعال النار فلم أجد بدًّا من إلقائه على الأرض. ثم خطر لى أن أوقد فيه النار لأخيف أصحابنا المرلوك ففعلت بغير تردد. ثم سرت فى طريقى وأنا أحسب أننى اهتديت إلى حيلة بارعة أكيد بها عدوى. ولكنى وا أسفاه! لم أعرف ما سيجره ذلك علىّ من البلاء!

كان لهيب النار شيئًا عجيبًا جديدًا على «وينا» فهى لم تر فى حياتها نارًا كبيرة تشب وتندلع ألسنتها وتطقطق وتقذف بالشرر كتلك النار التى أوقدتها. فهمّتْ بأن تجرى نحوها لتلعب بها، وأغلب ظنى أنها كانت لا تتردد فى أن تقذف بنفسها فيها قذفًا لولا أننى أدركتها ومنعتها. فكانت تجاهد فى التخلص منى، وأنا أجرّها معى جرًّا. وكان ضوء اللهيب ينير الطريق فى مبدأ الأمر، وتلفت ورائى بعد حين فوجدت أن النار قد اتصلت بشجيرات قريبة منها وامتد منها قوس سريع جعل يسرى فى الحشائش الطويلة التى تغطى سفح التل. فلم أعبأ بذلك، وحملت «وينا» على ذراعى اليسرى، وأخذت عصاى الحديدية فى يمينى، وسرت على ضوء النار مسرعًا. ومضى حين والسكون العميق لا يُسمع فيه إلا حفيف ورق الشجر إذا هب النسيم عليه وطقطقة أعواد الحطب إذا دستها، وإلا صوت أنفاسى وخفقان قلبى. ثم خيل إلىّ أننى أسمع شيئًا يشبه وقع الأقدام قريبًا منى فتقدمت جريئًا، ولكن وقع الأقدام زاد وعلا، وذكرنى بالأصوات

التى سمعتها فى سراديب المرلوك تحت الأرض. فلم يبق عندى شك فى أن عددًا منهم يحيط بى، وأنهم أقبلوا نحوى فى جمع عظيم.

وما كانت إلا لحظة ثم شعرت بجذبة فى طرف ثوبى ولمسة على ذراعى. وكانت «وينا» ترتعد من الخوف وهى لابدة فى صدرى.

فكان لابد لى من أن أشعل عودًا من الكبريت. ولكن كيف أفعل ذلك وأنا أحمل «وينا»؟. فأنزلتها وبحثت فى جيبى، وكانت صفوف المرلوك قد أطبقت علىّ وأخذت تجذبنى فى صمت وتتحسس ثيابى وظهرى وعنقى بأيديها الرخوة. وأشعلت العود فانطلق المرلوك يجرون فى ذعر ولمحت ظهورهم البيضاء بين الشجر، ثم أخذت قطعة من الكافور وهممت بأن أشعلها إذا أوشك عود الكبريت أن ينطفئ. ثم نظرت حولى أبحث عن «وينا» فرأيتها مكفوءة على الأرض عند قدمى ولا حراك بها. فأشعلت قطعة من الكافور وألقيتها مسرعًا ثم ملت إلى «وينا» فحملتها على كتفى وأردت السير ولكنى لم أعرف أين أتجه. فقد درت حول نفسى فى أثناء هذه الحركات المختلفة وصرت لا أعرف سبيلى، فقد أتجه فى سيرى عائدًا إلى الوراء من حيث جئت، وقد أسير فى الغابة عرضًا فلا أقدر على الخروج منها. وكان لابد لى من البت السريع فى الأمر، فبدا لى أن خير ما أصنعه هو أن أقيم الليلة حيث كنت، فأوقد نارًا نحتمى بها، وننتظر فى حذر حتى يطلع النهار. فوضعت «وينا» على الأرض، وكانت لاتزال ساكنة كأنها قد أغمى عليها، وأسرعت أجمع الأحطاب، وكانت عيون المرلوك ترمقنى وتلمع كأنها فصوص من العقيق. وانطفأ لهيب الكافور فأشعلت عودًا من الكبريت، ورأيت على ضوئه اثنين من المرلوك

يقتربان من الموضع الذى فيه الفتاة «وينا»، ولكن الضوء أزعجهما فهربا، وأعشى النور عينى أحدهما فاصطدم بى فى هروبه فلكمته لكمة طحنت عظامه فأنّ من الألم، ثم تعثر فى سيره ووقع صريعًا. وأشعلت قطعة أخرى من الكافور، وسرت أجمع الأحطاب وألقيتها فى النار حتى علت ألسنتها. وذهبت لآخذ «وينا» حيث تركتها إلى جانب عصاى الحديدية،وحاولت أن أوقظها، ولكن سعيى كله ذهب سدى.

وكانت النار قد انطلقت، فلم يكن بى حاجة إلى تغذيتها مدة ساعة أخرى. فجلست لأستريح وقد بلغ منى التعب، وكان النوم يميل برأسى ولم أدر ماذا حدث بعد ذلك، ففتحت عينى وكأننى أغفيت إغفاءة قصيرة، فوجدت النار قد انطفأت والظلام ضاربًا حولى والمرلوك يمدون أيديهم إلى جسمى. فانتفضت قائمًا وفتشت عن الكبريت فى جيبى، ولكن الكبريت لم يكن فى جيبى. فعاد المرلوك وهجموا علىّ وأحاطوا بى وعند ذلك أدركت غلطتى. لقد غلبنى النوم ولم أشعر حتى انطفأت النار وحدث ما كنت أخشى، وأحاطوا بى يحاولون القضاء علىّ. وكان ريح الدخان يملأ الجو والمرلوك يأخذون بأعضائى وعنقى وشعرى، ويحاولون أن يطرحونى إلى الأرض. وكان لمس أجسامهم الرخوة فى الظلام يبعث فىّ قشعريرة كأن حشرات تريد أن تجرنى إلى جحرها. وتكاثروا علىّ فوقعت على الأرض، وأحسست بأسنان دقيقة تنغرز فى رقبتى، فتدحرجت على الأرض وطحنت الذين وقعوا تحتى، وجعلت أجاهد حتى وقعت يدى على المرزبة الحديدية عفوًا. فقوى قلبى وهممت واقفًا ونفضت تلك الحشرات الآدمية عنى، وأخذت أضرب فى الظلام بالعصا الحديدية خبط عشواء إلى حيث كنت أظن رؤوس



أعدائى. وسمعت وقع الحديد على لحومهم وعظامهم يحطمها حطمًا. وملكتنى حماسة القتال، وأيقنت أن الخطر يحدق بى وبالفتاة المسكينة «وينا»، ووطَّنت نفسى على أن أقاتل قتال المستميت حتى آخذ من المرلوك ثمن لحمنا غاليًا. واستندت بظهرى إلى شجرة، وأهويت على جموع المرلوك أضرب ذات اليمين وذات الشمال وامتلأت الغابة بصياحهم. ثم مضت لحظة فأحسست أنهم بعدوا عنى. ثم سمعت منهم صيحة فيها رنين الفزع، وأسرعوا فى حركتهم، فوقفت أحملق فى الظلام وقد عاد إلىّ الأمل فى النجاة. أيكون المرلوك قد كرهوا قتالى وعرفوا عجزهم عنى؟ ثم ما هى إلا لحظة حتى عرفت أمرًا لم يخطر من قبل ببالى. ظهر فى الغابة نور غمرها، فاستطعت أن أبصر ما حولى، ورأيت عند قدمى ثلاثة من المرلوك صرعى على الأرض والآخرين يلوذون بالفرار فى صف طويل يكاد لا ينتهى إلى نهاية. وكانت ظهورهم حمراء من وهج النور، وبدت لى الحقيقةالمخيفة واضحة. لقد اشتعلت الغابة وسرت النيران إلى أطرافها، وها هى ذى ألسنة النار تنطلق جادة فى أثرى؛ فتلفتّ حولى باحثًا عن «وينا» لأهرب بها ولكنى لم أجدها. فذهبت مضطربًا أنظر خلال الأشجار وبين الجذوع باحثًا مرتاعًا فلم أجد لها أثرًا. لقد اختفت المسكينة كأن الأرض ابتلعتها. وكانت النار تقترب منى مسرعة ويعلو ضجيجها المخيف، والأشجار تفرقع كلما امتد اللهيب إليها، فلم أستطع البقاء فى مكانى، وأخذت المرزبة فى يدى وأسرعت أجرى إلى حيث رأيت المرلوك يهربون.

وامتد اللهيب يسابقنى إلى قطعة من فضاء لا شجر فيها، قصدت إليها أحسب أن اللهيب يقف عندها، فإذا بى أجد النيران تهجم من

كل جانب حتى أحاطت بالفضاء وحصرتنى فيه، ووجدت جمعًا من المرلوك فى ذلك الفضاء يهيمون على وجوههم، ورأيت جمعًا منهم يقبل نحوى، فضربت فيهم وألقيت بهم صرعى. ثم تبين لى أنهم لا يهجمون علىّ بل يصطدمون بى عن غير قصد، لأن النيران أعشت أبصارهم، فأمسكت عن ضربهم وصرت أسير بين صفوفهم أنتظر أن أرى فرجة فى حلقة النار أخلص منها خارجًا، وجعلت أقلب بصرى فى صفوفهم لعلى أرى أثرًا للفتاة «وينا» ولكن ذلك لم يجدنى نفعًا. وقصدت إلى ربوة فى وسط الفضاء فجلست عليها أتأمل أحوال هؤلاء المرلوك وهم يتدافعون فى اضطرابهم ويصيح بعضهم إلى بعض صيحات منكرة، حتى خيل إلىّ أننى فى كابوس ثقيل. واشتد بى الضيق، فصرت أصيح وأضرب الأرض بقدمى وأقوم ثم أقعد وأفرك عينى لعلى أكون نائمًا فأصحو. وما كان أطول الليلة التى قضيتها أعد اللحظات حتى طلع الصباح!

ولما لاحت بشائر النور ظهر لى القصر الأخضر عن بعد، فاستطعت أن أعرف وجه الطريق. فلففت بعض العشب على قدمى ثم مشيت فوق الحشائش المحترقة وبين الجذوع التى كانت لاتزال جمرة متقدة، وكان قلبى حزينًا يكاد يدمى من الحزن لفقد «وينا». وفيما كنت سائرًا وضعت يدى فى جيبى، وما كان أشد عجبى إذ وجدت به بعض أعواد الكبريت والظاهر أنها سقطت من العلبة قبل أن يسرقها المرلوك منى.

١٠

عدت إلى الموضع الذى وقعت فيه عينى لأول مرة على هذا العصر المستقبل العجيب، ورأيت التمثال الأبيض يبتسم بسمته الغامضة فوق قاعدته الصفراء البرنزية، ورأيت السهل الذى حوله مزدهرًا بديعًا، والقصور الكبيرة منثورة فى جوانبه تشمخ برؤوسها العالية، وفيما بينها طلول الخرائب التى تحكى قصص المجد الماضى، وكان النهر يجرى كأنه صفحة من الفضة فى بساط من خضرة يانعة.

ورأيت الناس فى ملابسهم الزاهية، ووجوههم تشع جمالاً ورقة، وهم يمرحون بين الأشجار أو يسبحون فى ضحاضح الأنهار. ولكنى تذكرت «وينا» وخفق قلبى من الحزن والألم حتى كاد ينخلع من صدرى. ورأيت الضباب فوق فتحات الآبار التى تخفى تحتها ذلك العالم السفلى بما يحويه من قسوة وغموض. رأيت ذلك كله؛ ولكن شتان بين نظرتى عند ذلك ونظرتى الأولى السابقة.

فهذا الجمال الذى يبدو على وجوه الإيلوى وهذا الظرف وتلك الأناقة فى هيئتهم لم تكن إلا طلاء خادعًا. أما حقيقتهم فلم تكن بعيدة عن حقيقة الحيوان الداجن من غنم وبقر وخيل. كان لهم جمال منظر الدواجن فى النهار، ولهم ظرف طباعهم وخلوهم من خوف الأعداء وقلة اعتمادهم على أنفسهم فى توفير حاجات الحياة. وكان لهم كذلك مصير تلك الدواجن إذ تذبحها اليد التى تطعمها. وبلغ منى الحزن مبلغه عندما تأملت فناء الذكاء البشرى، وكيف آل أمره إلى الانتحار

على يد الإنسانية التى خلدت إلى حياة الدعة والنعيم. وماذا يكون مصير إنسانية انغمست فى الأمن والسلام وقنعت بالعافية من الهموم؟ إنه هذا المصير الذى ادخرته الأقدار للإيلوى. فما أحرى الإنسان أن يتدبر أمره، ويعلم علم اليقين ما تمليه عليه الطبيعة من حكمة! فالذكاء والقدرة إنما هما جزاء مواجهة الحياة وتقلبها وأخطارها وهمومها. ولا ينبع الذكاء إلا من قلق الإنسان وسعيه نحو حال هى خير من حاله. فإذا استقر الإنسان على حاله وظن أنه قد بلغ ما أحب أصبح قطعًا تتحرك كالآلة الصماء. ذلك بأن الطبيعة لا تشحذ ذكاء الإنسان إلا إذا صدمته عقبة لا تغنى فيها إلا الحيلة المبتكرة. وذلك لا يكون أبدًا إذا الأمور استقرت، وسار الناس فيها على دروب مطروقة معروفة، سار فيها من قبلهم ويسير عليها مَنْ بعدهم. فهؤلاء الإيلوى - على جمال مظهرهم - لم يصبحوا من الإنسان. وأما هؤلاء المرلوك الذين استقروا فى عالمهم السفلى فإنهم قطعوا كل ما يربطهم بالإنسان. هذا ما بدا لى. ولست أدرى أأصبت الحقيقة أم أننى أخطأت، فما أنا إلا بشر، والعصمة لم توهب لأحد من البشر. ومهما يكن من الأمر فقد كانت عودتى إلى ذلك المكان نعمة غمرتنى سرورًا، وكنت فى أشد الحاجة إلى الراحة والنوم، فلم ألبث أن ملت واستسلمت للسبات. وصحوت قبل الغروب فخرجت أقصد التمثال الأبيض، وأنا مطمئن القلب لا أخشى أن تمتد إلىّ يد المرلوك إذ كانت المرزبة فى يمينى وأعواد الكبريت الباقية فى جيبى.

فلما قربت من التمثال وجهت نظرى إلى القاعدة وجعلت أفكر كيف أبدأ فى تحطيم بابها. ولكن بصرى وقع على شىء لم أتصوره فى

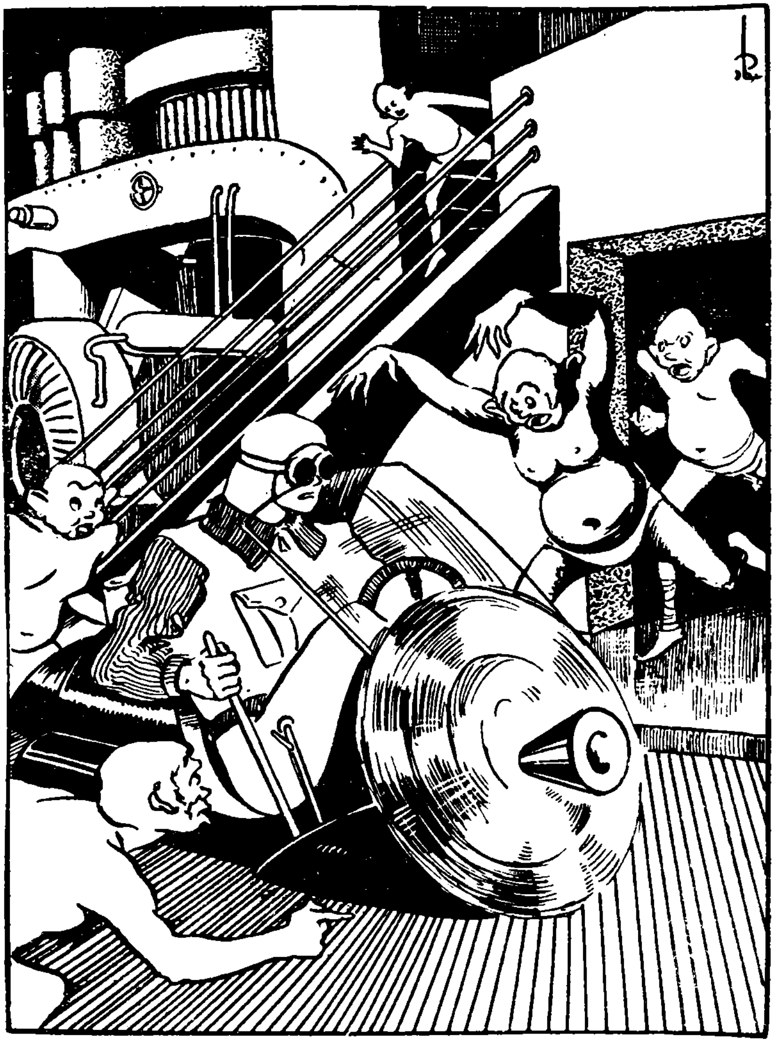
أعجب أحلامى. لقد رأيت الباب مفتوحًا!

فوقفت عند الباب مترددًا. أأدخل وأنا أعرف خبث المرلوك ولا أزال أذكر ما عانيت منهم؟ فأطللت برأسى من الباب فرأيت حجرة صغيرة. ثم ماذا تظننى رأيت فيها؟ رأيت آلة الزمن هناك على مصطبة فى ركنها. وهكذا بعد طول جهادى وضربى فى آفاق الأرض، وبعد أن قاسيت ما قاسيت، عدت إلى الموضع الذى كنت عازمًا على فتحه عنوة وعنفًا فرأيت بابه مفتوحًا مستسلمًا ومن ورائه ضالتى التى كنت أنشدها. فرميت عصا الحديد فى شىء من الأسف على أننى لم أجد داعيًا لاستخدامها، وهممت بالدخول فأحنيت رأسى ولكن خاطرًا سريعًا خطر لى عند ذلك. لقد عرفت من تجربتى كيف يفكر هؤلاء المرلوك وحسبت أنهم إنما ينصبون لى شركًا. وضحكت فى نفسى متوقعًا أن أرى ما دبروه من مكرهم ودخلت عامدًا إلى آلة الزمن فى ركنها، وكانت قائمة كما تركتها يوم جئت إلى ذلك العصر البعيد، وزاد عليها أنها طليت بالشحم والزيت ونظفت من وسخها، ولم أجد فيها شيئًا تغير، ولم أفتقد منها قطعة نقصت، مع أنى كنت أخشى أن يكون المرلوك قد فكوها ليعرفوا سرها.

وفيما كنت أفحصها، وقلبى يفيض سرورًا من عودتى إلى النظر إليها، حدث ما توقعته من مكر الخبثاء. فقد أغلق الباب فجأة، وسمعت له رنينًا عاليًا.

وهكذا حسب المرلوك أنهم ظفروا بى آخر الأمر وأوقعونى فى فخ محكم التدبير. ولكنى ضحكت إذ تحقق ظنى.

وسمعت أصواتًا منهم كأنهم كذلك يضحكون منى. أما أنا فأخذت



عودًا من الكبريت، وأخرجت ذراع آلة الزمن من جيبى - وكان فيه منذ نزعته منها فى مبدأ الأمر - وحككت عود الكبريت لأشعله، ولكن وا أسفاه! كان من تلك الأعواد التى لا تشعل إلا إذا حكت على جانب علبتها. وليس من العسير على أحد أن يتصور كيف تبدل اطمئنانى جزعًا وهدوئى ارتباكًا.

وأسرع الخبثاء إلىّ ومد أحدهم يده يحاول القبض علىّ. فلوحت فى الهواء بذراع الآلة وأنا أسرع داخلاً إلى مقعدى من الآلة.. فامتدت إلىّ يد ثم أخرى تحاول أن تخطف ذراع الآلة منى وأنا أجاهد لأدفعهم عنى، وأتحسس موضع المفصلة التى أركب ذراع الآلة فيها. ومازلت كذلك أضرب تارة وأدفع أخرى حينًا بيدى وحينًا برأسى، حتى جعلت الذراع فى موضعها. وجذبتها فتحركت الآلة وأخذت تعود بى إلى عصرى.

وهكذا تسللت من تلك الأيدى، وخرجت من الظلمة إلى النور الأغبش الذى يحدث من تتابع الليل والنهار فى رحلتى. وعلا صوت الآلة كما وصفته من قبل، ولم ألبث بعد أن هدأت ثورة نفسى أن شعرت بالدوار الذى تحدثه آلة الزمن لراكبها.

١١

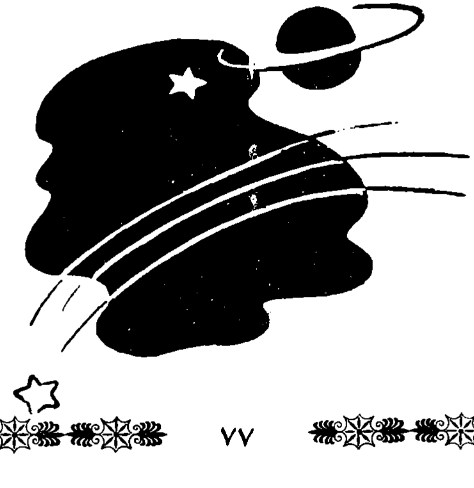
أسرعت فى إدارة الآلة بغير أن أميز بين السير إلى الأمام وبين السير إلى الوراء عبر القرون؛ فدفعت الذراع بغير وعى، فكرّت الأيام والليالى والأسابيع والشهور تبعد بى نحو مستقبل أبعد، فإذا بى أرى حركة الشمس تضعف وتتباطأ حتى كنت ألمح قرصها وهو يسير من الشرق إلى الغرب، بعد أن كانت تقطع الفضاء مسرعة كأنها قوس من النور يعبر السماء. وأما القمر فصار لا يظهر له أثر فوق الأفق. ثم حدث ما هو أعجب من ذلك؛ فإن قرص الشمس استوى فوق الأفق الغربى أحمر كبيرًا لا يعلو ولا ينحدر. فجعلت أبحث فى علمى عن سر هذا فلم أجد له تفسيرًا سوى أن حركة الأرض حول نفسها قد وقفت. وقد كنت أسمع العلماء يقولون إن مدّ البحر يسير فى اتجاه معاكس لدوران الأرض حول محورها، وإنه سوف يعوق دورانها شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهى الأمر بها إلى الوقوف كما تتوقف العجلة إذا عاقت الفرامل حركتها. فلابد أن تكون الأرض قد وقفت عن الدوران حول نفسها، كما وقف القمر فى عصرنا هذا. ووقفت الآلة حينًا لعلى أطلع على حال الأرض عند ذلك، وحاذرت أن أقفها فجأة حتى لا تطرحنى كما فعلت فى المرة الأولى.

فلما وقفت الآلة نظرت حولى فإذا السماء قد ذهبت زرقتها، وصارت فى شمالها الشرقى سوداء فى مثل ظلمة الليل، والنجوم تلمع فيها. وأما فى وسطها فكانت حمراء قاتمة، وفى جنوبها الشرقى كانت

حمراء فاقعة. وكان قرص الشمس هناك فى الجنوب الشرقى يبدو على الأفق كبيرًا أحمر مختنقًا. وكانت الصخور حمراء اللون وليس بها ما يدل على الحياة إلا أعشاب خضراء غاسقة من الطحالب. وكان الموضع الذى وقفت الآلة عنده شاطئ بحر - وذلك بغير شك من أثر تقلب سطح الأرض بين ارتفاع وهبوط على عصور الدهر - ولكن ماء البحر كان لا يتنفس عليه النسيم ولا يهزه الريح. ولاحظت أننى أنهج فى تنفسى، كأننى كنت على قمة جبل شامخ، حيث تسرع الأنفاس من ندرة الهواء. فلابد أن هواء تلك العصور المستقبلة صار أخف من الهواء الذى تعودنا نحن الحياة فيه.

وفيما كنت أتأمل ذلك كله خيل إلىّ أن حجرًا يتحرك نحوى،ولكن ذلك لم يكن حجرًا، بل هو حيوان عظيم من سرطان البحر له جسم هائل كأنه الصخرة! وكان يحرك أهدابه الطويلة كأنها سياط سائقى عربات الخيل. وأما عيناه فكانتا تبصان من جانبى رأسه الضخم، وشوارب فمه الواسع تتحسسان الأرض وهو يسير. وفيما أنا أتأمل ذلك الحيوان المخيف شعرت بشىء يلمس خدى فنفضته بيدى أحسبه ذبابة. ثم شعرت بلمسة أخرى على أذنى فمددت يدى إليها، فإذا بها تقع على شىء يشبه الخيط، وما أسرع ما انسحب من قبضتى. فالتفت ورائى فإذا بى أجد سرطانًا ضخمًا على مقربة منى يحرك شفتيه كأنه يتلمظ ليأكلنى. ومد إلىّ مخلبه الهائل ليصيب منى قطعة، فبادرت إلى ذراع الحركة فدفعتها حتى خلصت منه. ثم وقفت الآلة ونظرت مرة أخرى إلى الشاطئ فإذا به مغطى بسرطان من هذا الصنف يتحرك بين الطحالب الخضراء، فأسرعت إلى الحركة بالآلة لأرى ماذا يكون

مصير هذاالعالم، حتى قطعت ثلاثين مليونًا من السنين، فوجدت أن الشمس قد انطفأت وخمدت بعد أن صار قرصها يغطى ثلث السماء وصار سطح الأرض عند ذلك بلقعًا ليس عليه إلا الثلج من أقصاه وأدناه وأسفله وأعلاه. وكانت النجوم لاتزال تلمع فى السماء بنورها اللألاء. وكان يخيم على الكون صمت عميق لا أقدر على تصويره. فلا طير يزقزق ولا حيوان يصوت، ولا حشرة تطنّ. وكان لون السماء قد صار أسود كله لا يبدو فيه شعاع إلا وميض النجوم. ولم أطق تحمل البرد المؤلم، وضاق صدرى بأنفاسه، واعترانى دوارٌ شديد كأنى على شفا الإغماء. فحركت ذراع الآلة إلى الوراء لتعود بى إلى قرون الحياة، وقضيت حينًا لا أكاد أعى شيئًا حتى بدأت أرى تعاقب النور والظلام فى ومضات الليل والنهار. وعاد النور إلى قرص الشمس ثم أخذ يزداد. ومازالت الآلة تقطع بى القرون حتى أرست بى على عصرى، فبطأت سيرها شيئًا فشيئًا ثم أوقفتها. وماكان أعظم سرورى عندما وقعت عينى مرة أخرى على جدران معملى.



أولادنا

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام .

صدر منها :

١ - عمرون شاه .
٢ - مملكة السحر .
٣ - كريم الدين البغدادى .
٤ - آلة الزمن .
٥ - الأمير والفقير .
٦ - كتاب الأدغال .
٧ - بينوكيو .
٨ - نبوءة المنجم .
٩ - روبن هود .
١٠ - دون كيشوت .
١١ - ايفنهو .
١٢ - جزيرة الكنز .
١٣ - كنوز الملك سليمان .
١٤ - سجين زندا .
١٥ - الزنبقة السوداء .
١٦ - مون فليت .
١٧ - مقبرة الأفيال .
١٨ - الربان بلود .
١٩ - تيودورا .
٢٠ - أوليفر تويست .
٢١ - دافيد كوبر فيلد .
٢٢ - فى مهب الريح .
٢٣ - الفخ الذهبى .
٢٤ - حصان طروادة .
٢٥ - عودة المحارب .
٢٦ - نساء صغيرات .
٢٧ - توم سوير .
٢٨ - الأربعة الذين سرقوا الزمن .
٢٩ - الربان الجرىء .
٣٠ - العم نعناع .
٣١ - أم حنان .
٣٢ - كوخ العم توم .
٣٣ - سميراميس .
٣٤ - بامبى .
٣٥ - صديقى فوق الشجرة .
٣٦ - الطفلة المدللة .
٣٧ - الأرض الغامضة .
٣٨ - مولد بطل .
٣٩ - رحلة فى عالم مجهول .
٤٠ - سندريلا تعود .
٤١ - غدا .. سأغنى مرة أخرى .
٤٢ - جليلة وحسان اليمانى .
٤٣ - معروف فى بلاد الفلوس .
٤٤ - عميل فى المصيدة .
٤٥ - منيرة وقطتها شمسة .

دار المعارف

٢١٢٣٠٢/٠١